قسم

التفسير وعلوم القرآن

أمراض القلوب
وعلاجها في القرآن الكريم

إعداد

د / وفاء أبو ضيف مجاهد حسن

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

أمراض القلوب وعلاجها في القرآن الكريم

وفاء أبو ضيف مجاهد حسن

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ،

جامعة الأزهر ، سوهاج، مصر .

البريد الإلكتروني : Wafahassan.٧٩@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

إن للقلب مكانة في القرآن الكريم، إذ هو مفتاح السعادة ،ومنبع الأعمال ظاهرها وباطنها، وصلاح الإنسان يكون بصلاح قلبه، وفساده بفساد قلبه، روى الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ " ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح العمل كله، وإذا فسدت فسد العمل كله، ألا وهي القلب" فإذا استقام القلب استقامت جوارحه، وطابت أقواله، وصلحت أعماله، وإذا زاغ زاغت، والقلب مثله كسائر الأعضاء يعتريه المرض، كالنفاق والرياء والحسد والغل والزيغ، وأمراض القلوب ذات أثر خطير حيث أن ضررها يعم الدنيا والآخرة، و قد تفضي بصاحبها إلى الشقاء الابدي، فلا نجاة للإنسان إلا بسلامة قلبه من الأمراض، ولما كان للقلب تلك الأهمية آثرت كتابة هذا البحث، لبيان مفهوم القلب، ومكانته في القرآن الكريم، وأنواعه، ووظيفته، والأمراض التي تعتريه، وأسبابها، وطرق علاجها في ضوء القرآن الكريم.

واتبعت فى بحثى المنهج الاستقرائي التحليلي، واتبعت المنهج العلمي فى التوثيق، وتوصلت من خلال بحثى إلى عدة نتائج منها، أن للقلب عدة دلالات فى القرآن منها العقل، والروح، والقلب الذى يكون فى الصدر، وللقلب

عدة وظائف منها أنه محل للإيمان، ولنزول القرآن، ولحفظه وفهمه، ومحل للعقل والتدبر والفهم، ومحل لنظر الله عز وجل، فإن الله عز وجل لا ينظر إلى صور العباد وأموالهم، إنما ينظر إلى قلوبهم لأنها مدار صلاح العبد، وتوصلت أيضاً إلى أن قلوب العباد على قسمين: منها ما هو سليم، ومنها ما هو مريض، وأن القلب ما دام ينبض بالحياة فإنه معرض للأمراض والآفات التى تفسده، كالرياء والغل والنفاق، والحسد، والقسوة، والكبر، والإنكار، إلى غير ذلك من الأمراض، وبيّن القرآن الكريم أن علاج أمراض القلوب يكون بعدة طرق أهمها الإيمان بالله، ومحبته، وكذلك طاعته، والإخلاص له، والتوبة، والدعاء، واللجوء إلى الله دائماً لثبات القلوب على الحق، وعدم إزاغتها، والذكر وقراءة القرآن فإنها يزيلا عن القلوب صدأها، وعلاج أمراض القلوب يحتاج إلى عزيمة قوية، وإرادة، ومداومة وصبر، لأن أمراض القلوب أشق على النفس من أمراض البدن، ولا تزول إلا بالأدوية الإيمانية، فلا شفاء للقلب إلا بكتاب الله وسنه رسوله ﷺ، والتفانى فى طاعة الله، وجعل الدنيا طريق الآخرة.

الكلمات المفتاحية: أمراض القلوب – الرياء–النفاق –الغفلة – الزيغ– القسوة.

Vices represented by heart and treatment by the Holy Qur'an

Wafa Aboudeif Mogahed Hassan
Department of , Interpretation and Sciences of the Qur'an , Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, , Al-Azhar University, Sohag, Egypt .
E-mail: **Wafahassan.٧٩@azhar.edu.eg**

Abstract :

The heart has a place in the Holy Qur'an; as it is the key to happiness. Heart is the source of outward and inward actions; it is responsible for the human being's righteousness and corruption due to the person's either heart status. Alsheikhan narrated on the authority of Nu`man bin Bashir, may God be pleased with them, who said that Prophet Mohamed Peace be upon him, stated that "there is a lump in the body if it is good, the whole work is correct; however if it is corrupted then the whole work is corrupted- this lump is the heart". If the heart is straightened, the body parts are straightened as well, its words are correct, and its actions are correct. The heart is like all the other organs, it suffers from disease and vices, such as hypocrisy, envy, immorality and aberration. Diseases of the heart have a grave impact, as their harm pervades the world and the hereafter, and may lead to eternal misery, so there is no escape for a person without the safety of his heart from diseases and vices. And since the heart has such importance, I preferred to write this paper to clarify the concept of the heart; its place and position in the Holy Qur'an, its types, its function, the diseases that afflict it, their causes and methods of treatment in light of the Holy Qur'an.

In my research, I followed the inductive analytical approach, I followed the scientific method of documentation. I reached through my research to several results, including that the heart has several connotations in the Qur'an, including the mind, the soul, and the heart that is in the chest. The heart has several functions since it is a place

for faith, a place for the revelation of the Qur'an and to keep and to understand it; it is a place for reason, contemplation and understanding, and a place for the eyes of God, the Exalted, the Majestic, because God Almighty does not look at the images and money of people, but rather looks at their hearts because they are the orbit of the human's goodnessI also concluded that the hearts of the servants are divided into two parts: some of them are healthy, and some of them are sick, and that the heart as long as it beats with life is exposed to diseases and pests that spoil it, such as hypocrisy, impiety, envy, cruelty, arrogance, denial, and other diseases. The Holy Qur'an states that the treatment of heart diseases and vices can be done in a number of ways, the most important of which is faith in God and love, obedience, loyalty, repentance, supplication and frequent resort to God to make the hearts steadfast in the truth and not to distract them; remembrance and reading the Qur'an for it removes their rust from the hearts. The treatment of diseases of the heart requires strong determination, will, continuity and patience, because diseases of the hearts are more difficult for the soul than the diseases of the body, and they only vanish and disappear through faith medications. There is no healing of the heart except by the Book and Sunnah of His Messenger, may God bless him and grant him peace, and dedication to obedience to God, and making the world the way to the hereafter.

Keywords : Heart disease - Hypocrisy - Negligence - Aberration – Cruelty

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل كتابه الكريم، ﴿**موعظة وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]، والصلاة والسلام على النبي الأمي وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن للقلب مكانة كبيرة في القرآن الكريم، فهو مفتاح السعادة ،ومنبع الأعمال ظاهرها وباطنها، وهو سر من أسرار الله تعالى، وهو موضع نظر الله من عباده، روى الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضى الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[2].

ومن ثم فقد اختصه الله بمكانة كبيرة من بين أعضاء الجسد ،فهو محل نزول الوحي، قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾[3]، وهو محل الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ...**﴾[4]، الإخلاص ومحبة الله عز وجل، ومحبه رسوله الكريم، ومحل الخوف من الله عز وجل، والتسليم له، والقلب موضع

---

(١) سورة يونس الآية٥٧ .

(٢) صحيح مسلم ،المؤلف: أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ج٤ص١٩٨٧رقم ٢٥٦٤- بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي – القاهرة (وصَوّرتْها: دار إحياء التراث العربي – بيروت).

(٣) سورة الشعراء الآيات ١٩٣- ١٩٤.

(٤) سورة المجادلة الآية ٢٢.

اختبار من الله عز وجل لعباده، قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[١]، قال تعالى: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[٢]، وكذلك محل وسوسة الشيطان، قال تعالى: ﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾[٣]، والإنسان مسؤول عنه يوم القيامة، قال تعالى:﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً**﴾[٤]، فالقلب سيد الأعضاء، فاستقامتها مستمدة من استقامته، وفسادها مترتب على فساده، روى الإمام البخاري بسنده عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِ يرٍ –رضى الله عنهما– قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ"[٥].

---

(١) سورة الحجرات الآية ٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٤.

(٣) سورة الناس الآيات ٤– ٥.

(٤) سورة الإسراء الآية ٣٦.

(٥) صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، كتاب الإيمان، بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، ج١ص٢٠رقم٥٢، تحقيق: جماعة من العلماء، طبع: بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر المحمية، عام ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ، وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، ج٣ص١٢١٩رقم ١٥٩٩.

وليس أدل على أهميته وعظم مكانته من قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ (*) إِلاّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[1]، ولما كان للقلب تلك الأهمية كانت أمراضه من أخطر ما يكون على الفرد ،وتكمن خطورتها في تأثيرها على عقيدة الفرد وأقواله وأعماله، وذلك للارتباط الوثيق بين القلب وأعمال الجوارح، وتأثير كل منهما على الآخر، وأيضا تتمثل خطورتها فيما يترتب عليها من ضرر في الدنيا والآخرة، فمنها ما أخرج إبليس من الجنة كالكبر، قال تعالى:﴿**قالَ مَا مَنَعَكَ أَلاّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (*) قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[2]، ومنها ما يُعُّد بمثابة الاعتراض والسخط على قضاء الله وقدره كالحسد، قال تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[3]، ومنها ما يتعارض مع الإخلاص لله كالرياء، روى الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضى الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ "[4].

ومنها ما يهبط بالإنسان إلى درجة أحط من درجة الجماد كالقسوة، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَإِنَّ**

---

(١) سورة الشعراء الآيات ٨٨– ٨٩.

(٢) سورة الأعراف الآيات ١٢– ١٣.

(٣) سورة النساء الآية ٥٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق ، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ، ج٤ص٢٢٨٩رقم ٢٩٨٥.

مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١)، ومنها ما يهوى بصاحبها في الدرك الأسفل من النار كالنفاق في جانب العقيدة، قال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾**(٢)، وهي في ذاتها مؤلمة لذويها ،وفي جملتها تضر بالمجتمع حيث تصبح العلاقات بين أفراد المجتمع يسودها الحقد والكراهية ،فمن ثم يجب أن تكون القلوب محل اهتمام الإنسان، يسعى إلى سلامتها، ويحرص على تنقيتها من كل ما قد يشوبها من أمراض تؤدى إلى فسادها، حيث تحمل القلوب بين طياتها موجبات سعادته وشقائه، فيرتقي بسلامتها الإنسان إلى الجنة، وتهوى به عللها إلى النار، وهذا البحث دراسة لأمراض القلوب، وأنواعها، وخطورتها، وأسبابها، وطرق علاجها وقد عنونته بعنوان "أمراض القلوب وعلاجها في القرآن الكريم".

أسباب اختياري لهذا البحث

١-إن الله أمر بتطهير القلب وتنقيته من كل ما قد يشوبه من أمراض.

٢- للقلب أثر كبير على أعمال الجوارح ،فهو الموجه لها ،فإن صلح القلب صلحت سائر الأعضاء، وإن فسد فسدت سائر الأعضاء .

٣-غفلة الكثيرين عن قلوبهم وصلاحها وسلامتها .

٤- إن سلامة القلب سبب لسعادة الإنسان في الدنيا ولآخرة .

٥- المكانة التي وهبها الله للقلب في الدنيا والآخرة .

٦- إن أحوال القلب وما يعتريه يؤثر على عقيدته، ومرتبط بها ارتباطاً وثيقاً.

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٤.

(٢) سورة النساء الآية ١٤٥.

منهج البحث :

اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي في البحث وذلك من خلال الخطوات الآتية:

١- قمت بجمع الآيات ذات الصلة بالبحث، وتصنيفها موضوعيا، ودراستها من خلال كتب التفسير.

٢- عَزَوْتُ الآيات إلى سورها، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣ - خرَّجت الأحاديث، مكتفية بالصحيحين أو بأحدهما إن كان الحديث فيهما، فإن لم يكن خرَّجته من غيرهم، وحكمت عليه.

٤-عزوت الأقوال إلى أصحابها ووثَّقتها من كتبها.

الدراسات السابقة

لقد تناول العديد من العلماء أمراض القلوب بالدراسة ومنها:

١ - إحياء علوم الدين للإمام الغزالي(١).

٢- الداء والدواء لابن القيم(٢).

٣- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم(٣).

٤- أمراض القلب وشفاؤها لابن تيمية(٤) .

٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين(٥).

---

(١) إحياء علوم الدين ،المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٢) الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) أمراض القلوب وشفاؤها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية –القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ .

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م .

خطة البحث :

اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين :

في المقدمة بينت أهمية القلب، ومكانته، وخطورة الآفات التي تحل به، ووجوب علاجها.

وفي التمهيد :

١- تعريف القلب لغة واصطلاحا، ومفهومه في القرآن الكريم.

٢- نظائر القلب في القرآن الكريم.

٣- وظائف القلب.

٤- أنواع القلوب.

الفصل الأول: حقيقة أمراض القلوب وخطورتها ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أمراض قلوب أهل الكفر.

المبحث الثاني: أمراض قلوب أهل الإيمان.

المبحث الثالث: أمراض قلوب مشتركة بين أهل الكفر والإيمان .

الفصل الثاني: فساد القلب أسبابه وعلاجه ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أسباب فساد القلب. المبحث الثاني: علاج أمراض القلب.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

وبعد،،

فهذا مضمون البحث فصوله ومباحثه، فإن أصبت فمن الله وتوفيقه وعونه، وإن أخطأت فمني، ومن الشيطان، وأستغفر الله، وأتوب إليه، وأسأل الله -تبارك وتعالى- أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه، وأَن يجعل خير أَعمالنا خواتيمها، وخير أَيامنا يوم لقائه، وأَلاّ يؤاخذنا إن نَسَّينا أَو أَخطأْنا، وأَن يوفقنا للعمل بالقرآن، وأَن يجعله لنا إمامًا ونورًا وهدى ورحمة، وأَن يذكرنا منه ما نسينا، ويعلمنا منه ما جهلنا، ، وأَن يجعله حجة لنا وشفيعًا يوم الدين، ﴿**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ (١). وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة الشعراء، الآيات ٨٨- ٨٩.

تمهيد

تعريف القلب في اللغة

للقلب عدة معان في اللغة:

١- لُبُّ الشيء وخالصه "(قلب) يَدُلُّ عَلَى خَالِصِ شَيْءٍ وَشَرِيفِهِ ، الْقَلْبُ: قَلْبُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، سُمِّيَ لِأَنَّهُ أَخْلَصُ شَيْءٍ فِيهِ وَأَرْفَعُهُ. وَخَالِصُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَشْرَفُهُ قَلْبُهُ" (١).

٢- تحويل الشيء عن وجهه وصرفه عنه، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٢)." قَلَبَ الشيء قَلْباً: حوّله عن وجهه. وحجر مقلوب، وكلام مقلوب. وقلب رداءه. وقلبه لوجهه: كبّه، وقلبه ظهراً لبطن وتقلّب على فراشه. والحية تتقلّب على الرمضاء"(٣).

٣- مضغة اللحم الموجودة بداخل الإنسان" عضو صنوبريُّ الشَّكلِ، مودع في الجانب الأيسر من الصدر، في باطنه تجويف فيه دم أسود"(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، ج٥ ص١٧، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٤.

(٣) أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ج٢ص٩٤ (المتوفى: ٥٣٨هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. انظر القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ،المؤلف: الدكتور سعدي أبو جيب ص١٠٥، الناشر: دار الفكر. دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ= ١٩٨٨م.

(٤) التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجدي البركتي، ص١٧٦، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٤- العقل "القَلْب: الفؤاد، وقد يعبَّر به عن العقل، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [١]: أي عقل"[٢].

تعريف القلب في الاصطلاح:

١-"الصِّفَةِ النَّفْسِيَّةِ وَاللَّطِيفَةِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ الْحُكْمِ فِي أَنْوَاعِ الْمُدْرَكَاتِ، وَالشُّعُورُ الْوِجْدَانِيُّ لِلْمُؤْلِمَاتِ وَالْمُلَائِمَاتِ[٣].

٢- القلب "هو جسم لطيف قائم بالقلب اللحمانّى، الصنوبرى الشكل، قيام العرض بمحله، وهذا القلب: هو الذى يحصل به الإدراك وترتسم فيه العلوم والمعارف[٤].

فالقلب في الاصطلاح الشرعي:

ليس المراد منه القلب الجسماني؛ لأنه مشترك بين جميع البشر، بل المراد به شيء لطيف معنوي غير محسوس، متعلق بالقلب، هو محل الإيمان والكفر، ومحل المشاعر الوجدانية بمختلف أنواعها ، من رياء، وحسد، وكبر ونفاق، وأيضا السكينة والطمأنينة والمحبة، إلى غير ذلك من المشاعر، وهذا

---

(١) سورة ق الآية ٣٧.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ)، ج١ص٢٠٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين ابن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، ج٩ص، ٣٥١، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، أنظر: إحياء علوم الدين، ج٣، ص٣.

(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأدمى العلوى ، الهررى الشافعى،ج١، ص ١٤٤، ط دار الطوق النجاة، بيروت، لبنان، ط الأولى، ٢٠٠١م- ١٤١٢هـ.

القلب يصح ويمرض، وأعنى هنا المرض المعنوي وليس الحسي، ويختلف هذا القلب باختلاف الأشخاص ،من حيث الفهم والتدبر والمشاعر الوجدانية، قال تعالى: ﴿... **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[١]، أما القلب الجسماني فهو على صورة واحدة، ووظيفته واحدة عند الجميع، ومن ثم فليس هو المراد في الاصطلاح الشرعي.

مفهوم القلب في القرآن الكريم:

ورد لفظ القلب في القرآن الكريم بعدة معان منها :

١-العقل، قال تعالى:﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾[٢]،أي "عقل"[٣]:

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾[٤]، وقال تعالى:﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[٥]، فقد أسندت هذه الآيات إلى القلب العقل والفقه والفهم والتَّدبر، وأشارت الآية الأخيرة إلى أنَّ القلوب هي الَّتي تعقل، وأنَّ مكانها في الصَّدر، وقال تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**

---

(١) سورة الحشر الآية ١٤.

(٢) سورة ق الآية ٣٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ج١٧ص،٢٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

(٥) سورة الحج الآية ٤٦.

أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[١]، فهذه الآية أيضا تبين أنَّ عدم التَّدبر والتَّفكر يكون بسبب ما على القلوب من أقفال تحول دون تدبر آيات القرآن الكريم.

وقال تعالى:**﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَاّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾**[٢]. "وَالْقُلُوبُ: الْعُقُولُ وَالْأَفْكَارُ، وَإِطْلَاقُ الْقَلْبِ عَلَى الْعَقْلِ كَثِيرٌ فِي اللغة وَالْقُلُوبُ مُرَادٌ بِهَا الْعُقُولُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ سَبَبُ إِمْدَادِ الْعَقْلِ بِقُوَّةِ الْإِدْرَاكِ ، وَشَتَّى: جَمْعُ شَتِيتٍ ، شُبِّهَتِ الْعُقُولُ الْمُخْتَلِفَةُ مَقَاصِدُهَا بِالْجَمَاعَاتِ الْمُتَفَرِّقِينَ فِي جِهَاتٍ فِي أَنَّهَا لَا تَتَلَاقَى فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ" [٣].

"وأكثر ما ذكر الله القلب، فالمقصود به "العقل والمعرفة"[٤].

---

(١) سورة محمد الآية ٢٤.

(٢) سورة الحشر الآية ١٤.

(٣) التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ج٢٨ص١٠٦،وج٧ص٢٣، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ " .

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة ،ج١ص٩٢، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٢-**الروح** قال تعالى:﴿**وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾[١]. أي:" الأرواح"[٢]: فالقلب يرد في القرآن بمعنى الروح ،التي هي سر حياة الإنسان ، ويموت الإنسان بقبض الله لها.

٣- **القلب على حقيقته الجسمية:** ورد القلب في القران الكريم بمعنى القلب الذي يكون في الصدر، قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور**﴾[٣]، "وذكر الصدور لبيان أن محل العلم القلب ولئلا يقال إن القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شيء" [٤].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ١٠.

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، (حاشية الطيبي على الكشاف)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ج١٢ص٤٨٤، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج القسم الدراسي: د. جميل بني عطا المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣، انظر تفسير الماوردي ، النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ج٥ ص١٤٩(المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

(٣) سورة الحج الآية ٤٦.

(٤) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)،ج ٢ص٤٤٦،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ويقول أبو السعود:" وذكر الصُّدورِ للتَّأكيدِ ونفيِ تَوهُّمِ التَّجوزِ "[١]،

فالقلب في آيات القرآن الكريم دلالته متنوعة، ومختلفة، منها ما هو بمعنى العقل، ومنها ما هو بمعنى الروح، وأيضا المضغة التي هي في الجانب الأيسر من الصدر، ولكن أكثرها ذكرا في القرآن العقل ؛لتأثيره على عقيدة الفرد، وأقواله، وأعماله إيجابا وسلبا؛ ولأنه هو موضع الذم والمدح، وهو الباعث على شقائه أو نجاته.

نظائر القلب في القرآن الكريم :

للقلب في القرآن الكريم عدة نظائر جاءت بمعنى القلب :

١- **الفؤاد**، قال تعالى : ﴿**فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**﴾ [٢] "الْأَفْئِدَةُ جَمْعُ فُؤَادٍ وَهِيَ الْقُلُوبُ، وَقَدْ يُعَبَّرُ عَنِ الْقَلْبِ بِالْفُؤَادِ"[٣].

ونظير هذه الآية قوله تعالى :﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً**﴾[٤]، وقوله تعالى ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾[٥]، فوافق القلب رؤية العين وصدقها، وهذا يدل على العلاقة القوية بين القلب والعين ،وأن ما تراه العين يصل إلى القلب إن كان حقا وصدقا، وإلا فلا .

---

(١) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ج٦ص١١١، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن = ،ج٩ص٣٧٣

(٤) سورة الفرقان الآية ٣٢.

(٥) سورة النجم الآية ١١.

مما سبق يتبين لنا أن الفؤاد والقلب مترادفان، ولكن هناك رأي آخر يرى أنهما مختلفان، وأن الفؤاد أعم من القلب، يقول الفخر الرازي "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْفُؤَادِ فَقَالَ: الْقَلْبُ هُوَ الْعَلَقَةُ السَّوْدَاءُ فِي جَوْفِ الْفُؤَادِ دُونَ مَا يَكْتَنِفُهَا مِنَ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ، وَمَجْمُوعُ ذَلِكَ هُوَ الْفُؤَادُ [١].

٢- **الصدر** من نظائر القلب في القرآن الكريم الصدر، ومن الآيات التي عبر فيها القرآن الكريم عن القلب بالصدر قوله تعالى: **﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾**[٢]، **﴿قلوب قوم مؤمنين يعني خزاعة﴾**[٣].

وقوله تعالى: **﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ﴾**[٤]، وقوله تعالى: **﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾**[٥]، فالصدور في الآيتين المراد بها القلوب، وتفيد أهمية القلب وما يكنه في داخله، وأن القلب هو الباعث على أعمال الجوارح، فمن ثم خصه بالذكر في الآية الأخيرة، يقول الإمام الرازي" خَصَّ

---

(١) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ج٢٤ص٥٣١، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، ج٤ ص٢١٨، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة

(٢) سورة التوبة الآية ١٤.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، ج٢ص١٦١، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ .

(٤) سورة العنكبوت الآية ١٠.

(٥) سورة العاديات الآية ١٠.

أَعْمَالَ الْقُلُوبِ بِالذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ:﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ وَأَهْمَلَ ذِكْرَ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ؟ الْجَوَابُ: لِأَنَّ أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ تَابِعَةٌ لِأَعْمَالِ الْقَلْبِ فَإِنَّهُ لَوْلَا الْبَوَاعِثُ وَالْإِرَادَاتُ فِي الْقُلُوبِ لَمَا حَصَلَتْ أَفْعَالُ الْجَوَارِحِ، وَلِذَلِكَ –سبحانه– جَعَلَهَا الْأَصْلَ فِي الذَّمِّ فَقَالَ: ﴿**آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾[1]، وَالْأَصْلُ فِي الْمَدْحِ، فَقَالَ: ﴿**وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾[2]"[3].

وعلى ذلك فالقلب والصدر مترادفان، ولكن ذهب ابن القيم إلى أنهما غير مترادفين، فيرى أن الصدر بيت القلب، ومنه ينفذ الشيطان إلى القلب، ويلقي ما يريد من وساوس، فالقلب محله في الصدر، والصدر أعم منه، يقول ابن القيم : " وتأمل السر في قوله تعالى:﴿**يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾[4]، ولم يقل: في قلوبهم والصدر: هو ساحة القلب وبيته. فمنه تدخل الواردات إليه، فتجتمع في الصدر ثم تلج في القلب. فهو بمنزلة الدهليز له. ومن القلب تخرج الأوامر والإرادات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود. ومن فهم هذا فهم قوله تعالى: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[5]، فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته، فيلقي ما يريد إلقاءه إلى القلب، فهو موسوس في الصدر. ووسوسته واصلة إلى القلب. ولهذا قال

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٣.
(٢) سورة الأنفال الآية ٢.
(٣) مفاتيح الغيب ج٣٢ ، ص ٢٦٣.
(٤) سورة الناس الآية ٥.
(٥) سورة آل عمران الآية ١٥٤.

تعالى:﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ**﴾[١]، ولم يقل «فيه» لأن المعنى أنه ألقى إليه ذلك، وأوصله إليه. فدخل في قلبه"[٢] .

وظائف القلب:

كل عضو من أعضاء الإنسان له وظيفة اختصه الله بها، ولما كان للقلب مكانة خاصة اختصه الله بالعديد من الوظائف، التي ميزته عن باقي الأعضاء، والتي جعلته السيد عليها، وفيما يأتي أهم هذه الوظائف :

١-القلب محل للقرآن:

خلق الله القلب وجعله محلا لنزول الوحي، ومحلا لحفظه، فالقرآن يُحْفَظُ في الصدور كما يكتب في السطور، قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (*) عَلَى قَلْبِكَ**﴾[٣]، فإذا استقر القرآن في القلوب تحيا حياة طيبة، وكفى للقلب شرفا أن يكون محلا لنزول الوحي وحفظه ،قال تعالى :﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[٤] .

"عَلى قَلْبِكَ:" أَتَى بِلَفْظِ عَلَى، لِأَنَّ الْقُرْآنَ مُسْتَعْلٍ عَلَى الْقَلْبِ، إِذِ الْقَلْبُ سَامِعٌ لَهُ وَمُطِيعٌ، يَمْتَثِلُ مَا أَمَرَ بِهِ، وَيَجْتَنِبُ مَا نَهَى عَنْهُ. وَكَانَتْ أَبْلَغَ مِنْ إِلَى، لِأَنَّ إِلَى تَدُلُّ عَلَى الِانْتِهَاءِ فَقَطْ، وَعَلَى تَدُلُّ عَلَى الِاسْتِعْلَاءِ. وَمَا اسْتَعْلَى عَلَى

(١) سورة طه الآية ١٢٠.

(٢) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ص٦٧٨، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠ هـ

(٣) سورة الشعراء الآية١٩٣– ١٩٤.

(٤) سورة البقرة الآية ٩٧.

الشَّيْءِ يَضْمَنُ الِانْتِهَاءَ إِلَيه وَخُصَّ الْقَلْبُ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَيْكَ، لِأَنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَحَلُّ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَتَلَقِّي الْوَارِدَاتِ، أَوْ لِأَنَّهُ صَحِيفَتُهُ الَّتِي يُرْقَمُ فِيهَا، وَخِزَانَتُهُ الَّتِي يُحْفَظُ فِيهَا، أَوْ لِأَنَّ الْقَلْبَ خِيَارُ الشَّيْءِ وَأَشْرَفُهُ"(١).

٢-القلب محل للعقل:

من وظائف القلب التي ذكرها القرآن التدبر والتفكر ، قال تعالى: **﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾**(٢)، وكأن من القلوب ما يكون بمثابة البيوت المغلقة بالأقفال لا يدخلها شيء ،فلا تتدبر آيات القرآن الكريم، ولا ينفذ إليه نوره وهدايته قال تعالى **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾**(٣)، وقال تعالى:**﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾**(٤).

العلاقة بين القلب والعقل :

قال تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾**(٥)، يستخدم القرآنُ الكريمُ القلبَ في أداء وظيفة العقل، وهي التَّفقُّه أو التَّدبُّر، وهذا يوضح مدى الارتباط الوثيق بين العقل والقلب، حيث إنَّ القلب

---

(١) البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ج١ص٥١٣،المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت

(٢) سورة محمد الآية ٢٤.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

(٤) سورة الحج الآية ٤٦.

(٥) سورة الحج الآية ٤٦.

يضخُّ الدَّمَ الذي يُغذِّي المخَّ، والمعروف لدى علماء الطب أن محل العقل الدماغ وهذا هو الظاهر، أما خصائص كلٍّ منهما، وهل العقل مركزه المخُّ أو القلب؟ فهذا محل خلاف بين العلماء فانقسموا فريقين: فريق يرى أن محل العقل القلب، وفريق آخر يرى أن محل العقل الدماغ، ولكل فريق أدلته التي استند إليها ، أدلة الفريق الأول هي:

"**الأول:** قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها﴾**(١)، وَقَوْلُهُ: **﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِها﴾** (٢)، وَقَوْلِهِ:**﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾**(٣)، أَيْ عَقْلٌ، أَطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمَ الْقَلْبِ لِمَا أَنَّهُ مَعْدِنُهُ.

الثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى أَضَافَ أَضْدَادَ الْعِلْمِ إِلَى الْقَلْبِ، وَقَالَ:**﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾**(٤)، **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾** (٥)، وقال تعالى:**﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاّ قَلِيلاً﴾**(٦)، **﴿يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ﴾** (٧)، **﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾** (٨)، **﴿كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾**(٩)، **﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾**(١٠)، **﴿فَإِنَّها لا تَعْمَى**

---

(١) سورة الحج الآية ٤٦.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٩.
(٣) سورة ق الآية ٣٧.
(٤) سورة البقرة الآية ١٠.
(٥) سورة البقرة الآية ٧.
(٦) سورة النساء الآية ١٥٥.
(٧) سورة التوبة الآية ٦٤.
(٨) سورة الفتح الآية ١١.
(٩) سورة المطففين الآية ١٤.
(١٠) سورة محمد الآية ٢٤.

الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [1]، فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ الْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ هُوَ الْقَلْبُ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ أَيْضًا هُوَ الْقلب.

الثَّالِث: وَهُوَ أَنَّا إِذَا جَرَّبْنَا أَنْفُسَنَا وَجَدْنَا عُلُومَنَا حَاصِلَةً فِي نَاحِيَةِ الْقَلْبِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنَّا إِذَا أَمْعَنَ فِي الْفِكْرِ وَأَكْثَرَ مِنْهُ أَحَسَّ مِنْ قَلْبِهِ ضِيقًا وَضَجَرًا حَتَّى كَأَنَّهُ يَتَأَلَّمُ بِذَلِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ الْعَقْلِ هُوَ الْقَلْبُ، وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمُكَلَّفُ هُوَ الْقَلْبَ لِأَنَّ التَّكْلِيفَ مَشْرُوطٌ بِالْعَقْلِ وَالْفَهْمِ .

الرَّابِعُ: وَهُوَ أَنَّ الْقَلْبَ أَوَّلُ الْأَعْضَاءِ تَكَوُّنًا، وَآخِرُهَا مَوْتًا. وَاحْتَجَّ مَنْ قَالَ الْعَقْلُ فِي الدِّمَاغِ بِأُمُورٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْحَوَاسَّ الَّتِي هِيَ الْآلَاتُ لِلْإِدْرَاكِ نَافِذَةٌ إِلَى الدِّمَاغِ دُونَ الْقَلْبِ

وَثَانِيهَا: أَنَّ الْأَعْصَابَ الَّتِي هِيَ الْآلَاتُ في الحركات الاختيارية نافذة من الدماغ دُونَ الْقَلْبِ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْآفَةَ إِذَا حَلَّتْ فِي الدِّمَاغِ اخْتَلَّ الْعَقْلُ .

وَرَابِعُهَا: أَنَّ فِي الْعُرْفِ كُلُّ مَنْ أُرِيدَ وَصْفُهُ بِقِلَّةِ الْعَقْلِ قِيلَ إِنَّهُ خَفِيفُ الدِّمَاغِ خَفِيفُ الرَّأْسِ .

وَخَامِسُهَا: أَنَّ الْعَقْلَ أَشْرَفُ فَيَكُونُ مَكَانُهُ أَشْرَفَ، وَالْأَعْلَى هُوَ الْأَشْرَفُ وَذَلِكَ هُوَ الدِّمَاغُ لَا الْقَلْبُ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَحِلُّ الْعَقْل هُو الدِّمَاغَ"[2].

---

(١) سورة الحج الآية ٤٦.

(٢) مفاتيح الغيب ،ج٢٤ص٥٣١:٥٣٢ بتصرف، انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ) ج٢ ص٥٥٧، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (وفق المنهج المعتمد من بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله -)، راجعه: مُحَمَّدْ أَجْمَل الإِصْلاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢

مما سبق يتبين لنا أن هناك علاقة قوية بين القلب والعقل ، وهذا ثابت بالنص القرآني ، ولكن معرفة حقيقة ذلك متعذرة، فهذا سرٌّ من أسرار القدرة الإلهية، التي أودعها الخالق –سبحانه وتعالى– في جسم الإنسان .

٣- القلب محل الإيمان :

في القرآن آيات عديدة تفيد أن الإيمان من أعمال القلوب، منها قوله تعالى: ﴿**أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ**﴾(١)، وقال تعالى:﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾(٢)، وقال تعالى:﴿**يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ**﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿**وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ**﴾(٤)، فدلت هذه الآيات على أن المؤمن الحق هو المصدق بقلبه، وليس مجرد القول باللسان، فالقلب محل الإيمان ومستقرة، والعبرة بما استقر في القلوب، يقول الآلوسي: "حيث نسب الإيمان فيها وفي نظائرها الغير المحصورة إلى القلب فدل ذلك على أنه فعل القلب"(٥).

---

(١) سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤.

(٣) سورة المائدة الآية ٤١.

(٤) سورة النحل الآية ١٠٦.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: على عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ج١ص١١٤

٤-القلب محل التقوى :

قال تعالى:﴿**ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[١] الآية الكريمة تفيد أن التقوى من أعمال القلوب، وأن التقوى إذا استقرت في القلب ظهر ذلك على أعمال الجوارح ،لم يتكاسل في أداء الطاعات، وكان معظما لها، وذلك للصلة الوثيقة بين القلب والجوارح، يقول أبو السعود:" وتخصيصُها بالإضافة لأنَّها مراكزُ التَّقوى التي إذا ثبتتْ فيها وتمكَّنتْ ظهر أثرُها في سائر الأعضاءِ"[٢].

٥-القلب محل للمشاعر الوجدانية:

من أعمال القلوب ما يعتري الإنسان من المشاعر الإيجابية، كالسكنية، والطمأنينة، والألفة، والمحبة، واللين، والخشوع، وأيضا المشاعر السلبية كالرعب، والاشمئزاز، والغلّ، وفي القرآن الكريم العديد من الآيات التي يبين هذا، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٥]، وقال تعالى:﴿**ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[١]، وقال تعالى:

---

(١) سورة الحج الآية ٣٢.

(٢) تفسير أبي السعود ج٦ص١٠٦.

(٣) سورة الفتح الآية ٤.

(٤) سورة الأنفال الآية ١٠.

(٥) سورة الرعد الآية٢٨.

(١) سورة الزمر الآية ٢٣.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١)، ومن المشاعر السلبية التي تعتري القلب الرعب قال تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾(٢)، والاشمئزاز قال تعالى :﴿ وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾(٣)، ومنها أيضا الغيظ، قال تعالى:﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ (٤)، وكذلك الغل قال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾(٥)، والقسوة قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾(٦)، فالقلب محل لهذه المشاعر، فإن كانت حقا كان لها أكبر الأثر على أفعال الفرد، وطابت أقواله، وصلحت أعماله، وإن لم تكن كذلك كانت بمثابة المرض الذي يجب على الإنسان أن يجتهد لعلاجه، وشفاء قلبه منه؛ لأنه يشقيه في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال الآية ١٢.

(٣) سورة الزمر الآية ٤٥.

(٤) سورة التوبة الآية ١٥.

(٥) سورة الحشر الآية ١٠.

(٦) سورة الزمر الآية ٢٢.

٦-القلب محل النية :

قال تعالى:﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾[٢]، فهذه الآيات تفيد أن القلب محل النية، وأنه يؤاخذ بكسبه وما يتعمده، وأن قبول العمل ورده مرتبط بها، روى الإمام البخاري بسنده عن علقمة بن وقاص الليثي يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [٣].

أما" حديث النفس المعفو عنه فلا يدخل تحت كسب القلب، حتى يخص به؛ لأن كسب القلب يراد به أمر قارّ، وهو العزيمة والنية الجازمة بخلاف حديث النفس، فإنه ليس كذلك، بل هو من باب الخطرات التي لا ثبات لها" [٤].

أنواع القلوب :

من سنة الله في خلقه أن قلوب العباد مختلفة، وتنقسم القلوب باعتبار الصحة والمرض إلى قسمين:

١- القلب السليم:

وهو القلب الخالص الذي لا تشوبه شائبة من شرك ونفاق ورياء وكبر وحسد وغل، فهو القلب الذي لا يتمكن الشيطان من إغوائه، وهو القلب الخالي

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟- باب بدء الوحى ج١، ص ٦، رقم١.

(٤) الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، المؤلف: نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوقي الصرصري الحنبلي (المتوفى ٧١٦ هـ) ص٩٣، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

من الأمراض القلبية التي تفسده، وهو القلب الذي كتب الله له النجاة يوم القيامة، قال تعالى: **﴿يوم لَا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ (*) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**(١).

يقول ابن القيم" وَالْقَلْبُ السَّلِيمُ هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ، وَالْغِلِّ، وَالْحِقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَالشُّحِّ، وَالْكِبْرِ، وَحُبِّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ، فَسَلِمَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ تُبْعِدُهُ عَنِ اللَّهِ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تُعَارِضُ خَبَرَهُ، وَمِنْ كُلِّ شَهْوَةٍ تُعَارِضُ أَمْرَهُ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ إِرَادَةٍ تُزَاحِمُ مُرَادَهُ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ قَاطِعٍ يَقْطَعُ عَنِ اللَّهِ، فَهَذَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ فِي الدُّنْيَا، وَفِي جَنَّةٍ فِي الْبَرْزَخِ، وَفِي جَنَّةِ يَوْمِ الْمَعَادِ.

وَلَا تَتِمُّ لَهُ سَلَامَتُهُ مُطْلَقًا حَتَّى يَسْلَمَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ شِرْكٍ يُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ، وَبِدْعَةٍ تُخَالِفُ السُّنَّةَ، وَشَهْوَةٍ تُخَالِفُ الْأَمْرَ، وَغَفْلَةٍ تُنَاقِضُ الذِّكْرَ، وَهَوًى يُنَاقِضُ التَّجْرِيدَ وَالْإِخْلَاصَ.

وَهَذِهِ الْخَمْسَةُ حُجُبٌ عَنِ اللَّهِ، وَتَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، تَتَضَمَّنُ أَفْرَادًا لَا تَنْحَصِرُ "(٢).

فسلامة القلب بسلامته من كل داء، وسلامة عقيدته من كل شك، إذ يترتب عليها سلامة الجوارح والأعمال .

---

(١) سورة الشعراءآية٨٨ ،٨٩

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء ، ص١٢٢، انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج١، ص٧.

انظر تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير ابن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:٣١٠هـ) ج١٧ص٥٩٥، تحقيق: الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى،١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م.

٢-القلب المريض

قال تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾[١]، هو القلب الذي به علَّة من شبهة او شهوة تحول دون سلامته، وتعمل على شقائه، كالنفاق والرياء والحسد والكبر، وغير ذلك من الأمراض القلبية التي تعوق القلب من أداء وظائفه ،من الإيمان والتقوى والتدبر وتفكر في ملكوت الله وآياته، وتعوقه في مواطن الاختبار، وتحول دون نجاته في الآخرة .

يقول بن القيم": قلب له حياة وبه علة؛ القلب المريض له مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له، والتوكل عليه: ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب؛ وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة: ما هو مادة هلاكه وعطبه، وهو ممتحن بين داعيين: داعٍ يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداعٍ يدعوه إلى العاجلة. وهو إنما يجيب أقربهما منه بابا، وأدناهما إليه جوارا"[٢]

فمرض القلوب قد يكون بسبب ما يعتري الإنسان من شكوك وشبهات، فتخرجها عن حد الصحة والسلامة، ويؤدي إلى فساد العقيدة، وقد يكون بسبب الميل إلى المعاصي، والقلب المريض وإن اختلفت أسباب مرضه فهو في النهاية قلب ضعيف يحتاج إلى جهد ليشفي من مرضه، وإلى إرادة وعزيمة قوية من ذويها، وإلى فطنة أصحابها بما يعتريهم من أمراض قلبية ومدى خطورتها.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج١ص٩

الفصل الأول

حقيقة أمراض القلوب وخطورتها

أصل المرض:

"الْمِيمُ وَالرَّاءُ وَالضَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَا يَخْرُجُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ حَدِّ الصِّحَّةِ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ. مِنْهُ الْعِلَّةُ"(١).

وإذا كان أصل كلمة مرض هي خروج الجسد عن حد الصحة والاعتدال فكذلك مرض القلب خروجه عن صحته واعتداله ،وأن يتعذر عليه ما خلق له ،من الإيمان بالله ومحبته والإخلاص، وأن يتمكن من قلبه حب الشهوات، والميل إلى المعصية، والفتن والريبة والشك مما يضعف القلب ويفسده.

يقول الإمام الغزالي "مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه، والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه ،قال الله تعالى: ﴿**وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾(٢)، ففي كل عضو فائدة، وفائدة القلب الحكمة والمعرفة"(٣).

ويقول بن تيمية" مرض الْقلب هُوَ نوع فَسَاد يحصل لَهُ يفْسد بِهِ تصَوره وإرادته فتصوره بِالشُّبُهَاتِ الَّتِي تعرض لَهُ حَتَّى لَا يرى الْحق أَو يرَاهُ على خلاف مَا هُوَ عَلَيْهِ وإرادته بِحَيْثُ يبغض الْحق النافع وَيُحب الْبَاطِل الضار"(١).

---

(١) معجم مقاييس اللغة ج٥ص٣١٢.

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٣) إحياء علوم الدين ج٣ص٦٢.

(١) أمراض القلب وشفاؤها، ص٤.

وأضيف المرض إلى القلب في القرآن الكريم في عدة مواضع والإضافة فيها على معنيين:

١- **النفاق** والشك قال تعالى:﴿**أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ**﴾[٢]،وقال تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾[٣]، "شكٌ ونفاق"[٤].

٢-**الميل إلى المعصية**،قال تعالى :﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً** ﴾[٥] .

"قال ابن عباس والسُّدِّى: يريد زنا وقال مقاتل: يعني الفجور في أمر الزنا.

وقال قتادة: نفاق"[١].

---

(١) سورة النور الآية ٥٠.

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٥.

(٣) سورة البقرة الآية ١٠.

(٤) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)،المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)،ج١ص٣٨٣،المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

(٥) سورة الأحزاب الآية ٣٢.

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ج١٨ص٢٣٣، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

والذي يشهد له سياق الآية أن المرض هنا الفجور والزنا والميل إلى المعصية .

يقول ابن القيم:

"إنَّ الْقلب يَعْتَرِضهُ مرضان يتواردان عَلَيْهِ اذا استحكما فِيهِ كَانَ هَلَاكه وَمَوته وهما مرض الشَّهَوَات وَمرض الشُّبُهَات، هَذَانِ أصل دَاء الْخلق إلا من عافاه الله[1]".

إذاً أمرض القلوب نوعان: مرض شبهات وشهوات، وأشدها مرض الشبهات؛ لأنه مرتبط بالدين والعقيدة، مفسد لها، ويُعرف نوعه من سياق الآيات، فإن كان السياق في المنافقين والمعارضين للإسلام فهو مرض الشبهات، كقوله تعالى: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ**﴾[2]، وقال تعالى:﴿**إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1]، وقال تعالى:﴿**لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقاسِيَةِ**

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ج١ص١١١،
انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ج١ص٣٢٣:٣٢٤، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد– المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٢.

(١) سورة الأنفال الآية ٤٩.

قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾[1]، وإن كان سياق الآيات في ذكر المؤمنين فهو مرض الشهوات، قال تعالى: **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا ﴾**[2]، وفيما يلي أمراض القلوب التي تحدث عنها القرآن الكريم حَسْبَ السياق الذي وردت فيه.

* * * * * *

(١) سورة الحج الآية ٥٣.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٢.

المبحث الأول

أمراض قلوب أهل الكفر

١-الغفلة :

قال الراغب الأصفهاني" الغَفْلَةُ: سهو يعتري الإنسان من قلّة التّحفّظ والتّيقّظ،"(١).

ذمّ الله تعالى الغفلة وأصحابها في العديد من آياته، وذلك لما لها من أثر سيئ على قلوب العباد، حيث تجعل القلب بمثابة البيت الخرب الذي لا حياة فيه، وتصبح الدنيا هي مقصده، وغايته ووجهته، ومتبعا لهواه، وتضعف صلته بربه، ويكون الشيطان متسلطا عليه، مترقبا دائما لأوقات غفلته ليلقي في قلبه ما يشاء من وساوس وأماني، فالغفلة تعد من أعظم المهلكات، لما فيها إهدار للوقت وإفساد للقلب، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾(٢)، وهذا المرض من أمراض أهل الكفر ، وهذا مستفاد من سبب النزول ،حيث سأل بعض الكفار الرسول ان يطرد الذين آمنوا بالله عز وجل من مجلسه فنزلت الآية تنهى

---

(١) المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) ص٦٠٩، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.
انظر: تفسير التستري، المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى:٢٨٣)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي ص٩٧، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ بيروت.

(٢) سورة الكهف الآية ٢٨.

رسوله عن طاعة هؤلاء الكفار، الغافلين المتبعين لأهوائهم ، روى الإمام مسلم بسنده عن عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ "(١) .

فالآية الكريمة تأمر النبي ﷺ بألا يطيع من أغفل الله قلبه من هؤلاء الكفار، فيما دعوه إليه من طرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، حيث اتبع هؤلاء الكفار أهواءهم، وأهلكوا أنفسهم بكفرهم وبغفلتهم عن الفكر والتدبر، فالغفلة أدت بهم إلى الكفر، وإيثار العقيدة الباطلة، وعدم الانتفاع بجوارحهم، والهلاك في الدنيا والآخرة .

"وَالْمُرَادُ بِإِغْفَالِ الْقَلْبِ جَعْلُهُ غافلا عَن الْفِكر فِي الْوَحْدَانِيَّةِ حَتَّى رَاجَ فِيهِ الْإِشْرَاكُ، فَإِن ذَلِك ناشئ عَنْ خِلْقَة عقولٍ ضيفة التَّبَصُّرِ مَسُوقَةٍ بِالْهَوَى ، فَالْغَفْلَةُ خِلْقَةٌ فِي قُلُوبِهِمْ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى كَسْبٌ مِنْ قُدْرَتِهِمْ" (٢).

" وأما قوله: ﴿**وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: وكان أمره ضياعا.. أو كان أمره ندما. وقال آخرون: بل معناه: هلاكا. : خلافا للحق. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: ضياعا وهلاكا، من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطا: إذا أسرف فيه وتجاوز قدره" (٣).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، بَابٌ فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ج٤ص١٨٧٨رقم ٢٤١٣.

(٢) التحرير والتنوير ج١٥ ص٣٠٦بتصرف

(٣) تفسير الطبري ج١٥ص٢٤٣.

والله عز وجل خالق الغفلة في القلب، وذلك لأجل فعل يصدر من العبد استحق بها هذا من الله تعالى ،فلقد أغفل قلب من غفل عن ذكره؛ واتبع هواه، قال تعالى :﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ**﴾(١)، وقال تعالى:﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ**﴾(٢)، فالغافلون أشبه بالأنعام، قلوبهم لا تؤدي وظيفتها من التدبر والتفكر، ولا يرون الحق فيما يعرض عليهم من أدلة، ولا يسمعون صوت الحق ،قَالَ تَعَالىَ: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ**﴾(٣).

فغفلة الكافر إعراض عن التوحيد بالقلب والحواس، فهي غفلة تامة كاملة، أما غفلة المؤمن تكون عن الذكر لكن مع توحيد القلب وإيمانه، وتكون على قدر انهماكه في الدنيا.

يقول ابن عطية الأندلسي" غفلة الكافر على الكمال، والمؤمن المنهك في الدنيا التي هي أكبر همه تكون بقدر" (٤).

"وصدأ القلب بأمرين الغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدأه بحسب

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٧.

(٢) سورة الحشر الآية ١٩.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ج٤، ص ٣٢٩، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، وفسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب"(١).

٢- الإباء:

الإباء:" شدة الامتناع، فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباءً" (٢).

الإباء من أمراض القلوب التي تفسده، وتحول دون سلامته؛ لأن القلب يكون رافضا لما فيه صلاحه في معاشه ومعاده، يأبى أن يستجيب إلى الحق، أو أن يذعن له. قال تعالى :﴿**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ**﴾(٣)، فالآية الكريمة تتحدث عن الكافرين وأن من سماتهم إرضاء المؤمنين بالأفواه فقط دون ان توافق قلوبهم ألسنتهم، وهذا لإباء القلب عن الإيمان، ولما تضمره قلوبهم من العداوة والبغضاء والكراهية للإسلام والمسلمين، فهم إن كانوا في موطن القوة والغلبة على المسلمين لم يراعوا عهدا ولا قرابة، وإن كانوا في موطن ضعف " يبذلون الكلام الطيب الحلو باللسان دون ما في القلوب؛ لأن ما في قلوبهم من البغض وإضمار العداوة والشحناء لا يساعد ما تجري به ألسنتهم، فالألسنة تقول

---

(١) انظر الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ص٤٠:٤١، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.

انظر رسالة ابن القيم إلى احد إخوانه المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ص٦، المحقق: عبد الله بن محمد المديفر، الناشر: مطابع الشرق الأوسط – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٥٨

(٣) سورة التوبة الآية ٨.

شيئاً وما تنطوي عليه الصدور شيءٌ آخر. وهذا معنى قوله: ﴿**يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ**﴾ أي: لا تُوَافِقُ مَا يَنْطِقُونَ بِهِ بِأَفْوَاهِهِمْ لما هي منطوية عليه من الكفر والبغض وشدة العَدَاوَةِ لَكُمْ. وهذه الآيات وأمثالها تدلُّ على أن الذي يدرك ويقع فيه الإباء والانْقِيَاد وجميع أنواع الإدْرَاك كلّه القلب وذلك أمرٌ لا شك فيه"(١).

فإباء الإيمان وإيثار الكفر محله القلب، ويترجم إلى إباء الجوارح عن الاستجابة لأوامر الله، كإباء إبليس السجود لآدم ،قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾(٢) فالإباء مفسد للقلب ،مذموم يغلق منافذ الإدراك عند الإنسان، لا يرى الحق حقا، ولا يتبعه، ولا يتدبر ما يُقال له؛ لشدة امتناعه عن القبول.

٣-الرِّيبَة :

"الرَيْبُ: الشَكُّ. والرَيْبُ: ما رابَكَ من أمر، والاسم الريبةُ بالكسر، وهي التُهمة والشكُ" (٣).

ويقول صاحب تفسير المنار " الرِّيبَةُ مَا تَضْطَرِبُ فِيهِ النَّفْسُ، وَيَتَرَدَّدُ الْوَهْمُ وَيَسُوءُ الظَّنُّ، فَيَكُونُ صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي شَكٍّ وَحَيْرَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَثَارُهُ الشَّكَّ"(١)

---

(١)العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ج٥ص٢٩٤: بتصرف، المحقق: خالد بن عثمان السبت إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة .

(٢) سورة البقرة الآية ٣٤.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج١ص١٤١

(١) تفسير المنارج١١ص٣٨:٣٩

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**﴾[1]، تتحدث هذه الآية عن الريبة، ومدى تمكنها من قلوب المنافقين ،ومدى تأثيرها على أفعالهم، فإنهم كانوا يؤدون ما يسهل عليهم من عبادات، وأما ما يشق عليهم يتعللون بحجج كاذبة، وهذا نابع من عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر، فهذان هما الباعثان على تحمل المشاق، لثقة المؤمن بأن ما عند الله خير وأبقى، فيجاهد بنفسه وماله، أما المنافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يبعثه باعث على تحمل المشقة والجهاد، أضف إلى هذا ما يشعر به في قلبه من ريبة وشك وحيرة، تجعله قلقاً متردداً، فلا هو إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين، سيطر علي قلبه شكه وتردده، فلا يستطيع إجابة الرسول إذا دعاهم للجهاد؛ لعدم ثقتهم بالنصر، فالريبة أدت إلى ترك الواجب، وهو الجهاد، باعتبارهم في الظاهر مسلمين، وإلى التردد وعدم الاستقرار، وتلك حالة ترهق الفرد، وتشقيه، وتجعله في حيرة من أمره .

"والْمُرَادَ بِالِارْتِيَابِ الِارْتِيَابُ فِي ظُهُورِ أَمْرِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلِأَجْلِ ذَلِكَ الِارْتِيَابِ كَانُوا ذَوِي وَجْهَيْنِ مَعَهُ فَأَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ لِئَلَّا يَفُوتَهُمْ مَا يَحْصُلُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعِزِّ وَالنَّفْعِ، عَلَى تَقْدِيرِ ظُهُورِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ، وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ حِفَاظًا عَلَى دِينِهِمُ الْفَاسِدِ وَعَلَى صِلَتِهِمْ بِأَهْلِ مِلَّتِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ قالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، فَلِتَرَدُّدِهِمْ لَمْ يُصَارِحُوا النَّبِيَ ﷺ بِالْعِصْيَانِ لِاسْتِنْفَارِهِ، وَلَمْ يَمْتَثِلُوا لَهُ فَسَلَكُوا مَسْلَكًا

(١) سورة التوبة الآية ٤٥.

(٢) سورة النساء الآية ١٤١.

يَصْلُحُ لِلْأَمْرَيْنِ، وَهُوَ مَسْلَكُ الِاسْتِئْذَانِ فِي الْقُعُودِ، فَالِاسْتِئْذَانُ مُسَبَّبٌ عَلَى التَّرَدُّدِ، وَالتَّرَدُّدُ مُسَبَّبٌ عَلَى الِارْتِيَابِ"(١).

ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿**لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(٢)، هذه الآية تبين صورة أخرى من صور الريبة، أدت إلى فساد القصد، والنية، فهؤلاء المنافقون قاموا ببناء مسجد ليكون محلاً لاجتماعهم، وحديثهم ،فلم يبنوا المسجد ليكون محلا للعبادة، فخرجوا به عن وظيفته، ومن ثم أمر الرسول–صلى الله عليه وسلم– بهدمه، وهذا يفيد أن العمل وإن كان صالحا متى اعتراه الشك وفساد القصد ولم يكن على أساس سليم في القلب والاعتقاد فسد، وذلك، " أَنَّ ذَلِكَ الْمَسْجِدَ لَمَّا بَنَوْهُ لِغَرَضٍ فَاسِدٍ فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِبَقَاءِ النِّفَاقِ فِي قُلُوبِهِمْ مَا دَامَتْ قُلُوبُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. وَجَعْلُ الْبُنْيَانِ رِيبَةً مُبَالَغَةٌ كَالْوَصْفِ بِالْمَصْدَرِ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ سَبَبٌ لِلرِّيبَةِ فِي قُلُوبِهِمْ. وَالرِّيبَةُ: الشَّكُّ، فَإِنَّ النِّفَاقَ شَكٌّ فِي الدِّينِ، لِأَنَّ أَصْحَابَهُ يَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ مُوَالَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِخْلَاصِ لِلْكَافِرِينَ. وَقَوْلُهُ: ﴿**إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ**﴾ أَيْ يَبْقَى رِيبَةً أَبَدًا إِلَّا أَنْ تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ مِنْهُمْ وَمَا هِيَ بِمُقَطَّعَةٍ"(٣).

فالشك في موضع اليقين يجب أن يحترز منه الإنسان، لأنه يشقي القلب ويصيبه بالحيرة والتردد، ويضعفه، ويضعف إقباله على خير الأعمال،

---

(١) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢١٢:٢١٤بتصرف

(٢) سورة التوبة الآية ١١٠.

(٣) التحرير والتنوير، ج١١ص٣٥:٣٦، انظر التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ج٦ص٨٩٤:٨٩٧، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

وهو نابع من ضعف الإيمان بالله واليوم الآخر، أما العقيدة الصحيحة فإنها تُقَوِّي قلب صاحبها، وتكسبه الثقة بالله، وبحكمته وعدله، فليلتزم بها الفرد .

٤-الأقفال على القلوب:

القلوب خلقها الله وجعلها محلا للتدبر والتفكر، ومن أهم ما يجب عليه تدبره هو القرآن الكريم؛ لأن به حياته في الدنيا والآخرة، ولكن إذا ما أغلقت حَالَ ذلك دون أداء وظيفتها، ومن ثم لم ينتفع الإنسان بما فيه خير الدارين له، وحرم نفسه من نعمة الإيمان، وهي أجل وأعظم ما يمكن أن يحظى به القلب، فالقلوب إذا أغلقت بالأقفال استلزم ذلك تعطيل باقي الجوارح عن مهامها، فالعين وإن كانت ترى والأذن وإن كانت تسمع لا ينفذ منهما شيء إلى القلب؛ لتعطل وسائل الإدراك ، قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[(١)]، وقال تعالى﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها**﴾[(٣)].

"أقفل الحقّ عل قلوب الكفار فلا يدخلها زاجر التنبيه، ولا ينبسط عليها شعاع العلم، فلا يحصل لهم فهم الخطاب فالباب إذا كان مقفلا ... فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج منه شيء كذلك قلوب الكفار مقفلة، فلا الكفر الذي

(١) سورة الحج الآية ٤٦.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

(٣) سورة محمد الآية ٢٤.

فيها يخرج، ولا الإيمان الذي هم يُدْعَوْن إليه يدخل في قلوبهم. وأهل الشّرك والكفر قد سدّت بصائرهم وغطّيت أسرارهم، ولبّس عليهم وجه التحقيق"(١).

والأقفال التي على القلوب ليست محسوسة، إنما هي شيء معنوي، دال على عدم تدبرهم وتفكرهم ، "وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ إِذْ شُبِّهَتِ الْقُلُوبُ، أَيِ الْعُقُولُ فِي عَدَمِ إِدْرَاكِهَا الْمَعَانِيَ بِالْأَبْوَابِ أَوِ الصَّنَادِيقِ الْمُغْلَقَةِ، وَالْأَقْفَالُ تَخْيِيلٌ وَإِضَافَةُ (أَقْفَالٍ) إِلَى ضَمِيرِ قُلُوبٍ نَظْمٌ بَدِيعٌ أَشَارَ إِلَى اخْتِصَاصِ الْأَقْفَالِ بِتِلْكَ الْقُلُوبِ، أَيْ مُلَازَمَتِهَا لَهَا فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا قاسية"(٢).

فالقلوب المغلقة قلوب مريضة، ضعيفة لا تقوى على الفهم، لما عليها من حواجز وموانع ،حالت دون هدايتها، من إيثارها للكفر، وإعراضها عن الحق، وإصرارها على ذلك، فهي قلوب مظلمة، لا يصل إليها نور الإسلام، ولا تهتدي به.

٥-الأغْلِفَة والأَكِنَّة على القلب :

"الْغِلَافُ غِلَافُ السَّيْفِ وَالْقَارُورَةِ. وَ(غَلَفَ) الشَّيْءَ جَعَلَهُ فِي الْغِلَافِ. وَقَلْبٌ (أَغْلَفُ) كَأَنَّمَا أُغْشِيَ غِلَافًا فَهُوَ لَا يَعِي"(٣) .

---

(١) لطائف الإشارات تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) ج٣ص٤١٣، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة

(٢)التحرير والتنوير ج٢٦ ص١١٤بتصرف، انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ج٥ص١٢٣، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٣) مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ص٢٢٨ (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

من أمراض القلوب أن يكون أغلف في غطاء، يحول دون إدراكه وفهمه وتدبره، فيصبح الغلاف بمثابة علة للقلب، فالقلب الأغلف حرم من العلم النافع، الذي تعمل بمقتضاه الجوارح، طبع عليه بما آثر من كفر على الإيمان، وكأن القلب يغشاه الظلام، لا ينفذ إليه نور، فيصيبه العمى، ولا يرى الحق حقا، ويفسد تصوره وإدراكه، فالقلوب فطرت على معرفة الحق، ولكن يفسدها الإنسان بما يعتقده من معتقدات باطلة وفاسدة، فتفسد القلب إذا حلت فيه، وتحول دون سلامته.

قال تعالى:﴿**فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاّ قَلِيلاً**﴾[1] ، وقال تعالى:﴿**وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ (*) وَقالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ**﴾[2]. "والغلف هو الذي لا يفقه أي قلوبنا مغشاة بأغشية خِلْقية مانعة عن نفوذ ما جئت به فيها، وهذا كقولهم: ﴿**قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ**﴾ [3]، قصدوا به إقناط النبي ﷺ عن الإجابة وقطع طمعه عنهم بالكلية، ﴿**بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ**﴾ رد لما قالوه، وتكذيب لهم فيما زعموه، والمعنى أنها خلقت على فطرة التمكن من النظر الصحيح الموصل إلى الحق لكن الله تعالى أبعدهم، وأبطل استعدادهم

(١) سورة النساء آية ١٥٥.

(٢) سورة البقرة الآيات ٨٧-٨٨ .

(٣) سورة فصلت الآية ٥.

الخلقي للنظر الصحيح بسبب اعتقاداتهم الفاسدة وجهالتهم الباطلة الراسخة في قلوبهم "[١]:

ونظير هذه الآيات قوله تعالى:﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ**﴾[٢]، فالأكنة على القلوب أغشية وحجب تحول دون وصول نور الإيمان إلى القلب، ومانع من الفهم والتفقه، ومن ثم فصاحبها فاقد للسمع والبصر، وإن رأى وإن سمع ؛لأن فساد القلب مستلزم لفساد البصر والسمع .

قوله تعالى:﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾"[٣].

فهؤلاء الكفار عندما يستمعون للقرآن لا يصل نوره إليهم؛ لأن على قلوبهم أكنة، حالت دون ذلك، ولا يسمعون صوت الحق ، ولا يبصرون نور الهداية فيما يرون من آيات، وذلك لإصرارهم على الكفر .

يقول صاحب تفسير المنار "وَجَعَلْنَا عَلَى آلَةِ الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهِيَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ وَلُبِّهِ أَغْطِيَةً حَائِلَةً دُونَ فِقْهِهِ وَنُفُوذِ الْأَفْهَامِ إِلَى أَعْمَاقِ عَمَلِهِ، وَمَعْنَى هَذَا الْجَعْلِ مَا مَضَتْ بِهِ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَى فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ مِنْ كَوْنِ التَّقْلِيدِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ يَكُونُ مَانِعًا لَهُ بِاخْتِيَارِهِ مِنَ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١ص٣١٨بتصرف

(٢) سورة فصلت الآية ٥.

(٣) سورة الأنعام الآية ٢٥.

وَالْبَحْثِ عَنِ الْحَقَائِقِ وَجَعْلُ الْأَكِنَّةِ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْوَقْرِ فِي الْآذَانِ فِي الْآيَةِ مِنْ تَشْبِيهِ الْحُجُبِ وَالْمَوَانِعِ الْمَعْنَوِيَّةِ، بِالْحُجُبِ وَالْمَوَانِعِ الْحِسِّيَّةِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي لَا يَفْقَهُ الْحَدِيثَ وَلَا يَتَدَبَّرُهُ كَالْوِعَاءِ الَّذِي وُضِعَ عَلَيْهِ الْكِنُّ أَوِ الْكِنَانُ وَهُوَ الْغِطَاءُ حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهِ شَيْءٌ، وَالْآذَانُ الَّتِي لَا تَسْمَعُ الْكَلَامَ سَمَاعَ فَهْمٍ وَتَدَبُّرٍ كَالْآذَانِ الْمُصَابَةِ بِالثِّقَلِ أَوِ الصَّمَمِ لِأَنَّ سَمْعَهَا وَعَدَمَهُ سَوَاءٌ" (١).

٦-العمى:

قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾(٢) ، فالآية الكريمة بَيَّنت أن العمى مرض يصيب القلب، فتحجب عنه الرؤية، فلا يتعظ بما حل بالأمم السابقة، من هلاك بسبب كفرهم وتكذيبهم وإعراضهم عن دعوات الرسل، فإنه إن يرى آثار ذلك في سفره ولكنها تكون رؤية عابرة دون تدبر، لا ينفذ منها شيء إلى القلب، فإنهم وإن كانت أبصارهم سليمة، لكنهم عطلوا مداركهم، وأهملوا قلوبهم، فلم يتعظوا، ولم يعتبروا، فلم يقلعوا عما هم فيه من كفر.

يقول بن القيم:" الصمَم والبكَم والعَمَى للقلب بالذات والحقيقة، وللجوارح بالعرض والتبعية. ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾(٣). وليس المراد نفي العمى الحسّي عن البصر، وإنّما المراد أنّ العمى التامّ في الحقيقة عمى القلب، حتى إنّ عمى البصر بالنسبة إليه ليس

(١) تفسير المنارج٧ ص٢٨٩بتصرف

(٢) سورة الحج الآية ٤٦.

(٣) سورة الحج الآية ٤٦.

بعمى، حتّى إنه يصح نفيه بالنسبة إلى كماله وقوته، والمقصود أنّ من عقوبات المعاصي جعلَ القلبِ أعمى أصمّ أبكم"[١] .

عندما لا يتعظ ولا يعتبر القلب بما يرى من مشاهدات توقظ القلب من غفلته وتنير بصيرته فهو مريض بالعمى، يعتريه خلل في الرؤية، وقصور في الفهم، فضّل الطريق المستقيم، وأهلك صاحبه بحرمانه من نور الهداية وسبل السلام .

٧-الاشمئزاز :

"ش م أز، كلمة واحدة، الشمز: التقُّبضُ ونفور النفس مما تكره، وتَشَمَّزَ وجُهُه: تقَّبض، واشْمَأَزَّ اشمئزازاً: انقبض واجتمع بعضه إلي بعض، وقيل ذُعِرَ، اشمأزت: **﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾**[٢][٣]

فالاشمئزاز مرض يشعر فيه القلب بالانقباض والضيق، مما يظهر ذلك على الوجه عند سماع الحق، وتكمن خطورته في أنه نابع من نفور واستكبار وإعراض عن الحق، وذلك لما رسخ في القلب من عقيدة باطلة، ويستلزم أيضا إهمال الجوارح، لأنه عند انقباض القلب لن تتأمل العين ما تراه، ولن تنصت الأذن لما تسمعه، ومقابل اشمئزاز قلوب أهل الكفر من ذكر الله استبشارهم بالباطل وسرورهم به، فيستجيب له الكافر بقلبه وجوارحه ،فيفسد قلبه وعمله، قال تعالى: **﴿وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذا**

---

(١) الداء والدواء، ج١ص ٢٧٥ انظر التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود ج٢ص٥٩٤، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة –١٤١٣ هـ.

(٢) سورة الزمر الآية ٤٥.

(٣) مخطوطة الجمل – معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، المؤلف: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل ج٢ص٤٠٣، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨م

ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1]، يقول بن كثير:" قَالَ مُجَاهِدٌ اشْمَأَزَّتْ انْقَبَضَتْ وَقَالَ السُّدِّيُّ نَفَرَتْ وَقَالَ قَتَادَةُ كَفَرَتْ وَاسْتَكْبَرَتْ وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ اسْتَكْبَرَتْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾**[2]. أَيْ عَنِ الْمُتَابَعَةِ وَالِانْقِيَادِ لَهَا فَقُلُوبُهُمْ لَا تَقْبَلُ الْخَيْرَ ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ولذلك قال تبارك تعالى: **﴿وَإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾** أَيْ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ قَالَهُ مُجَاهِدٌ **﴿إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾** أي يفرحون ويسرون" [3].

والذى تميل إليه النفس أن المراد بالاشمئزاز الانقباض حيث قابله في الآية الاستبشار، يقول الزمخشري :

"ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز، إذ كل واحد منهما غاية في بابه، لأنّ الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بَشْرَةُ وجهه ويتهلل. والاشمئزاز: أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه"[4].

---

(١) سورة الزمر الآية ٤٥.

(٢) سورة الصافات الآية ٣٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ج٧ص٩٢)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل(مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣)، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى)، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ج٤ص١٣٢، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

فانقباض القلب عند سماع ذكر الله مرض، يدل على خلل فيه ،فالقلوب السليمة تستبشر بسماع الذكر، وتنشرح صدور أصحابها، ولكن قلوب أهل الكفر لَمَّا استقر فيها الكفر زَلّت وانحرفت عن الفطرة السليمة، ففسد القلب بفساد معتقداته .

٨-الإسلاك :

" (سلك) تعبّر الكاف ، ويعبّر التركيب معها عن النفاذ بدقة وقوة في شيء صُلْب مثلًا أو بشيء صُلْب أو متين، كسلك النظم. السِلْكة – بالكسر: الخيط الذي يخاط به الثوب المعنى المحوري نفاذ في أثناءٍ (ضيقة) بدقة وامتداد: كذلك الخيط. ومنه: سَلَكْتُ الشيءَ (الدقيق) في الشيء، وسلكَ يده في الجيب، والسقاءِ، ونحوهما (مداخل ضيقة). وقال تعالى: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾[١]، فأدخله في الأرض وأسكنه فيها "[٢].

إسلاك الكفر في القلب مرض يفيد مدى تمكن الكفر والتكذيب من القلب ،ونفوذه فيه بحيث لا يرضى غيره من المعتقدات، ويفيد استقراره في قلوبهم وملازمته لهم، قال تعالى :**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (*) وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (*) كَذلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾** [١]، قَوْلُهُ تَعَالَى:" كَذلِكَ نَسْلُكُهُ" أَيِ الضَّلَالَ وَالْكُفْرَ وَالِاسْتِهْزَاءَ وَالشِّرْكَ .فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ" مِنْ قَوْمِكَ، عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمَا. أَيْ كَمَا

---

(١) سورة الزمر الآية ٢١.

(٢)المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) ج٢ص١٠٦٤،١٠٦١، المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م" .

(١) سورة الحجر الآيات ١٠: ١٢.

سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ شِيَعِ الْأَوَّلِينَ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ مُشْرِكِي قَوْمِكَ حَتَّى لَا يُؤْمِنُوا بِكَ، كَمَا لَمْ يُؤْمِنْ مَنْ قَبْلَهُمْ بِرُسُلِهِمْ. وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: نَسْلُكُ التَّكْذِيبَ، وَفِي الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى نَسْلُكُ الْقُرْآنَ فِي قُلُوبِهِمْ فَيُكَذِّبُونَ بِهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ الْقَوْلُ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، وَهُوَ أَلْزَمُ حُجَّةً عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ. وَعَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا: نَسْلُكُ الذِّكْرَ إِلْزَامًا لِلْحُجَّةِ" (١).

وذهب إلى الرأي الأول بن جرير الطبري، والبيضاوي، والفخر الرازي، يقول الفخر الرازي "قُدَمَاءُ الْمُفَسِّرِينَ مِثْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَتَلَامِذَتِهِ أَطْبَقُوا عَلَى تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّهُ تَعَالَى يَخْلُقُ الْكُفْرَ وَالضَّلَالَ فِيهَا، وَالتَّأْوِيلُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُعْتَزِلَةُ تَأْوِيلٌ مُسْتَحْدَثٌ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَكَانَ مَرْدُودًا"(٢)

والذى تميل إليه النفس أن الضمير يعود على الاستهزاء ،حيث إنه أقرب مذكور، فيكون معنى الآية أن الله عز وجل سلك في قلوب مشركي قريش الاستهزاء والكفر والضلال لَمّا آثروه وأصروا عليه مكّنهُ من قلوبهم، فمن ثم لا يؤمنون بالقرآن، ولا يتبعون الحق، ولا يرون الهدى ،وهكذا كان الكفار في الأمم السابقة، والتعبير بلفظ نسلكه تعبير دقيق يفيد مدى تمكن الكفر من قلوبهم، فلا ينفك عنها، ويفيد صلابة قلوبهم، وإصرارها على الباطل .

٩- الإشراب:

الإشراب:" لونٌ قد أُشْرِبَ من لون آخَر. يقال أُشْرِبَ الأبيضُ حُمْرَةً، أي عَلاهُ ذلك. وفيه شُرْبَةٌ من حُمْرَةٍ، أي إشْرابٌ. ويقال أيضاً عنده شُرْبَةٌ

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ص٧ .

(٢) مفاتيح الغيب ج١٩ص١٢٥،١٢٧، انظر تفسير الطبري ج١٤ص٢٠،٢١، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٢ص٢٠٧

من ماءٍ، أي مقدار الرِيِّ، ومثله الحُسْوَةُ والغُرْفة واللُقمة. وأُشْرِبَ في قلبه حُبَّهُ، أي خالطَه" (١).

الإشراب هو مرض في القلب ذكره القرآن الكريم ليبين مدى تمكن حب المعبود من دون الله في قلوب الكفرة، وهذا انحراف للقلب مما يجب عليه من محبة الله تعالى والإيمان به ،فهذا المرض مفسد للعقيدة، قال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** (٢)، وصورت الآية محبة العجل بأسلوب بديع، وكأن العجل أصبح بذاته داخل القلب متخلله، وذلك من شدة حبهم له.

يقول صاحب تفسير المنار" ذَكَرَ أَقْبَحَ أَمْثِلَةِ هَذَا الْعِصْيَانِ بِعِبَارَةٍ مُدْهِشَةٍ فِي بَلَاغَتِهَا فَقَالَ: **﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾**، هَذِهِ الِاسْتِعَارَةُ مِنْ فَرَائِدِ الِاسْتِعَارَاتِ يُتَمَثَّلُ بِهَا عِنْدَ ذِكْرِ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ. وَإِشْرَابُ الشَّيْءِ الشَّيْءَ: مُخَالَطَتُهُ إِيَّاهُ وَامْتِزَاجُهُ بِهِ، أَوْ هُوَ مِنَ الشُّرْبِ كَأَنَّ الشَّيْءَ الْمَحْبُوبَ شَرَابٌ يُسَاغُ، فَهُوَ يَسْرِي فِي قَلْبِ الْمُحِبِّ وَيُمَازِجُهُ كَمَا يَسْرِي الشَّرَابُ الْعَذْبُ الْبَارِدُ فِي لَهَاتِهِ. وَقَدْ قَدَّرَ الْأَكْثَرُونَ هُنَا مُضَافًا مَحْذُوفًا، فَقَالُوا: الْمُرَادُ " حُبُّ الْعِجْلِ قَوْلِهِ (بِكُفْرِهِمْ) سَبَبُ هَذَا الْحُبِّ الشَّدِيدِ لِعِبَادَةِ الْعِجْلِ هُوَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْوَثَنِيَّةِ فِي مِصْرَ، فَقَدْ رَسَخَ الْكُفْرُ فِي قُلُوبِهِمْ بِطُولِ الزَّمَنِ، وَوَرِثَهُ الْأَبْنَاءُ عَنِ الْآبَاءِ"(١).

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج١ص١٥٤

(٢) سورة البقرة الآية ٩٣.

(١) تفسير المنار ج١ص٣٢٠

فشركهم بالله مؤثر على أعمالهم، وهو الباعث على إتيانهم المعاصي، فباختلاف متعلق المحبة تختلف أعمال الأفراد، فمحبة الله تثير في النفس الحرص على الطاعة والالتزام بشرع الله، والشرك يثير في النفس المعصية، وهذا يدل على العلاقة القوية بين مكنون القلب وأعمال الجوارح.

١٠- الإنكار :

قال تعالى: ﴿**إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**﴾[١]، الآية الكريمة تبين أن الله واحد لا شريك له، وقد ثبتت وحدانية بالأدلة القاطعة التي لا تقبل الشك ومع ذلك فالكفار يشركون به غيره في عبادته، ولا يؤمنون بالآخرة، وترتب على ذلك أمرين ،إنكار القلب لوحدانية الله تعالى، واستكبار النفس عن الاستجابة للدعوة، والباعث على هذا عدم إيمانهم باليوم الآخر وإنكارهم للبعث، وما يترتب عليه من ثواب وعقاب ؛لأن إيمانهم قاصر على المحسوس فقط، فأصبح القلب منكرا للحقائق مستكبرا عنها، وهذا المرض مضر لصاحبه؛ لأنه به حرم القلب من نور الإيمان، وآثر ظلمات الكفر.

يقول الآلوسي " فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وأحوالها التي من جملتها البعث وما يعقبه من الجزاء قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ للوحدانية جاحدة لها أو للآيات الدالة عليها وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ عن الاعتراف بها أو عن الآيات الدالة عليها، وإسناد الإنكار إلى القلوب لأنها محله وهو أبلغ من إسناده إليهم، ولعله إنما لم يسلك في إسناد الاستكبار مثل ذلك لأنه أثر ظاهر كما تشير إليه الآية بعد وقد قال

(١) سورة النحل الآية ٢٢.

بعض العلماء: كل ذنب يمكن التستر به وإخفاؤه إلا التكبر فإنه فسق يلزمه الإعلان" [١] .

١١-الكبر:

"هو الخُلُقُ الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المُتَكَّبر عليه واسم الكبر بالخُلُق الباطن أحق وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر"[٢].

وورد الكبر في القرآن بصيغ متعددة، الكبر والتكبر والاستكبار وقد فرق بينهما الراغب الأصفهاني فقال:

" والْكِبْرُ والتَّكَبُّرُ والِاسْتِكْبَارُ تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. وأعظم التّكبّر التّكبّر على الله بالامتناع من قبول الحقّ والإذعان له بالعبادة. والاسْتِكْبارُ يقال على وجهين: أحدهما: أن يتحرّى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرا، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب فمحمود. والثاني: أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن. وهو ما قال تعالى: أَبى وَاسْتَكْبَرَ [٣].

وقال تعالى:﴿**أَفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ**﴾[٤][١]".

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٧ص٣٦٤بتصرف.

(٢)إحياء علوم الدين ج٣ص ٣٤٤.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٤.

(٤) سورة البقرة الآية ٨٧.

(١) المفردات في غريب القرآن ص٦٨٨،٦٨٩ بتصرف

"وَمِنْ لَطَائِفِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ مَادَّةَ الِاتِّصَافِ بِالْكِبرِ لم تجئ مِنْهَا إِلَّا بِصِيغَةِ الِاسْتِفْعَالِ أَوِ التَّفَعُّلِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ صَاحِبَ صِفَةِ الْكِبْرِ لَا يَكُونُ إِلَّا مُتَطَلِّبًا الْكِبْرَ أَوْ مُتَكَلِّفًا لَهُ وَمَا هُوَ بِكَبِيرٍ حَقًّا"(١)

ومن ثم فالكبر مرض كائن في القلب يشعر الفرد فيه بالعظمة ، أما التكبر فهو امتناع القلب عن قبول الحق بسبب الكبر، فلم يقف عند حد الشعور بل أصبح عملاً من أعمال القلوب والجوارح، والاستكبار هو المرتبة الثالثة بعدهما، حيث تفيد شدة الكبر وتمكنه من القلب، قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾(٢).

" قال ابن عباس–رضى الله عنهما–: والمراد ما في قلوبهم، والصدر موضع القلب فكني به عن القلب لمجاورته." (٣)

فالآية الكريمة توضح أن الكبر محله القلب، ويثير في الإنسان الجدال بغير حق لما يرى في نفسه من الأفضلية عن غيره، فتأبى نفسه إتباعه وإن كان الداعي يدعوه لخيري الدنيا والآخرة ،وهو من أمراض أهل الكفر حيث ورد في سياق الحديث عنهم .

---

(١) التحرير والتنوير ج١ص٤٢٥.

(٢) سورة غافر الآية ٥٦.

(٣) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)ج١٧ص٧٢)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

يقول أبو السعود "﴿**إِنَّ الذين يجادلون في آيات الله**﴾ ويجحدونَ بها ﴿**بِغَيْرِ سلطان أتاهم**﴾ في ذلكَ من جهتِه تعالَى ﴿**إن في صُدُورِهِمْ إِلاّ كِبْرٌ**﴾ أيْ ما فِي قلوبِهم إلا تكبرٌ عن الحقِّ وتعظّمٌ عن التفكرِ والتعلمِ أو إلاّ إرادةُ الرياسةِ والتقدمِ على الإطلاقِ أو إلا إرادةُ أنْ تكونَ النبوةُ لهم دونَك حسداً وبغياً حسبَما قالُوا ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رَجُلٍ مّنَ القريتين عظيم**﴾[١] وقالوا ﴿**لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سبقونَا إليهِ**﴾[٢] ولذلكَ يُجادلون فيها لا أنَّ فيها موقع جدال ما ﴿**مَّا هُم ببالغيه**﴾ أي ما هُم ببالغي مقتضَى ذلكَ الكِبرِ وهُو ما أرادُوه من الرياسةِ أو النبوةِ ﴿**فاستعذ بالله**﴾ أي فالتجىءْ إليهِ من كيدِ مَنْ يحسدُكَ ويبغِي عليكَ ﴿**إِنَّهُ هُوَ السميع البصير**﴾ لأقوالِكم وأفعالِكم"[٣].

ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾[٤]، فهذه الآية توضح أن الكبر كان سببا في طبع الله على قلوب المتكبرين، وكذلك المستكبر يبغضه الله ويدخله نار جهنم، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[٦]، وقال تعالى:﴿**فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ**

(١) سورة الزخرف الآية ٣١.
(٢) سورة الأحقاف الآية ١١.
(٣) تفسير أبي السعود ج٧ص٢٨١.
(٤) سورة غافر الآية٣٥.
(٥) سورة النحل الآية ٢٣.
(٦) سورة غافر الآية ٦٠.

الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾(١)، وقال تعالى: **﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾**(٢)، واستكبارهم هذا هو رفضهم الخضوع لله وأوامره، ورفضهم عبادة الله تعالى، قال تعالى: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾**(٣)، وقال تعالى: **﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾**(٤)، ومما يؤكد خطورة هذا المرض أن هلاك إبليس كان بسبب الكبر، قال تعالى: **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾**(٥)، وتكمن خطورة الكبر في أن الإنسان يدعي لنفسه ما هو لله وحده، فالعظمة لله دون غيره، فمن ثم من يتكبر يصيبه الذل والهوان، فالتكبر على الله هو أبشع أنواع التكبر، قال تعالى : **﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (*) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾**(٦)، ولقد أكدت السنة على ذم الكبر، روى الإمام مسلم بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: (إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ"(٧).

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ٢٠.
(٢) سورة الزمر، الآية ٦٠.
(٣) سورة الصافات الآية ٣٥.
(٤) سورة الجاثية الآية ٣١.
(٥) سورة البقرة الآية ٣٤.
(٦) سورة ص الآيات ٧٧- ٧٨.
(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِه، ج١ص٩٣ رقم٩١.

فالتكبر يجعل صاحبه يترفع عن الانقياد لبشر مثله ، فمن ثم لم يستجب الكافرون لدعوات الرسل ،قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا**﴾[1]، وخلاصة القول أن الكبر مذموم بكل أشكاله وصوره ، مفسد للقلب والعقيدة، مؤثر على أعمال الجوارح .

١٢-التقلُّب :

التقلب من الأمراض التي تصيب القلب، فالقلب يتغير من حال إلى حال، فالتقلب من أشد الأمراض التي قد توقع الفرد في التهلكة إذ حاد الإنسان وانحرف عن الطريق المستقيم وأصر على انحرافه هلك، روى الترمذي بسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ» [2].

---

(١) سورة الفرقان الآية ٢١.

(٢) سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) أبواب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بابُ مَا جَاءَ أَنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ، ج ٤ص٤٤٨رقم٢٤١٠، وروى بعضهم عن الأعمش، عن أبى سفيان، عن جابر، عن النبي ﷺ ، وحدث أبى سفيان عن أنس أصح وحكم الألباني عليه بأنه صحيح. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٢)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

قال تعالى:﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُون**﴾[1]، فهذه الآية توضح أن الكفار إذا جاءتهم الآيات التي سألوا النبي ﷺ عنها ما آمنوا ولظلوا على كفرهم؛ وذلك لاستقرار الكفر في قلوبهم وعدم استعدادهم لتقبل الإيمان، إنما كان سؤالهم للآيات عنادا واستكبارا وليس رغبة حقيقية لمعرفة الحق، فلو كان لديهم النية لمعرفة الحق وكانت قلوبهم خالية من الأهواء لهداهم الله وأعانهم وشرح صدورهم للإسلام.

يقول أبو السعود" ﴿**وَنُقَلّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأبصارهم**﴾ عطفٌ على لا يؤمنون داخلٌ في حكم ما يشعركم مقيدٌ بما قُيِّد به أي وما يُشعرُكم أنا نقلّب أفئدتَهم عن إدراك الحقِّ فلا يفقهونه وأبصارَهم عن اجتلائه فلا يُبصرونه لكن لا مَعَ توجهها إليها واستعدادِها لقبوله بل لكمال نبؤها عنه وإعراضِها بالكلية ولذلك أخِّر ذكرُه عن ذكر عدمِ إيمانِهم إشعاراً بأصالتهم في الكفر وحسماً لتوهُّم أن عدم إيمانِهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرَهم بطريق الإجبارِ بل بأن يُخلِّيَهم وشأنَهم بعد ما عُلم فسادُ استعدادِهم وفرطُ نفورِهم عن الحق وعدمُ تأثيرِ اللطفِ فيهم أصلاً ويطبَعُ على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادُهم {كَمَا لم يُؤْمِنُواْ بِهِ﴾ أي بما جاء من الآيات ﴿**أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ أي عند ورودِ الآياتِ السابقةِ ﴿**ونذرهم فِي طغيانهم يَعْمَهُونَ**﴾ أي ندعُهم في طغيانهم متحيِّرين لا نهديهم هدايةَ المؤمنين "[2] .

والتقلب ليس قاصرا على القلب فقط إنما يكون للبصر أيضا، وتقلب البصر نتيجة لتقلب القلب فمهما ترى العين من أدلة وبراهين تصور الحق لا

(١) سورة الأنعام الآية ١١٠.

(٢) تفسير أبي السعود ج٣ص١٧٣بتصرف.

يستفيد منها البصر، ولا ينفذ منها شيء إلى القلب، وكأن الحاسة مهملة معطلة، وذلك لما أصاب القلب من آفة التقلب، فالقلب هو أساس سلامة الجوارح إن سلم سلمت الحواس وإلا فلا.

" قدَّم اللَّه – تعالى – ذكر تَقْليب الأفْئِدة على تَقْليب الإبْصَار؛ لأن مَوْضع الدَّوَاعِي والصَّوَارِف هُوَ القَلْب فإذا حَصَلَت الدَّاعية في القَلْب انْصَرَفَ البَصَر إليه شَاءَ أمْ أبَى، وإذا حَصَلَت الصَّوارف في القَلْب انصرف البَصَر عَنْه هو، وإن كَانَ يُبْصِره بحسب الظاهر إلاَّ أنه لا يَصِير ذلك الإبْصَار سَبَباً للُوقُوف على الفَوَائِد المَطْلُوبة" (١).

١٣- الران على القلوب:

" الرَّين أَصله الصَدَأ الَّذِي يركب السيفَ وغيرَه، ثمَّ صَار كل شَيْء غطّى شَيْئًا فقد ران عَلَيْهِ. ثمَّ استعملوا ذَلِك فِي كل غالبٍ على شَيْء"(٢).

"قَالَ الفَرّاء: يَقُول: كَثُرت المَعاصي مِنْهُم والذُّنوب فأحاطت بقلُوبهم، فَذَلِك الرَّيْن عَلَيْهَا. وَكَذَلِكَ غَلَبة الدَّين، وغَلبة الذُّنُوب. وَقَالَ أَبُو مُعاذ النَّحوي: الرَّيْنُ: أَن يَسْوَدّ القَلْبُ من الذُّنوب. والطَّبْعُ: أَن يُطْبع على القَلب، وَهُوَ أشدّ من الرَّين، وَهُوَ الخَتْم. قَالَ: والإقْفال أَشَدّ من الطَّبع، وَهُوَ أَن يُقْفل على القَلْب. وَقَالَ الزّجّاج يُقَال: ران على قَلْبه الذَّنْبُ يَرِن رَيْناً، إِذْ غُشِي على قلبه. قَالَ: والرَّين، كالصَّدأ يَغْشَى القَلْب. قَالَ أَبُو عُبيد: قَالَ أَبُو زيد: يُقَال: رِين بالرَّجُل رَيْناً، إِذا وَقع فِيمَا لَا يَستطيع الخُروج مِنْهُ وَلَا قِبلَ لَهُ بِهِ"(٣).

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ج٨ ص٣٧٦

(٢) جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ج٢ص٨٠٨، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

(٣) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ج ١٥ ص١٦٢، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١] توضح الآية أن الإنسان إذا آثر الاستمرار في إتيان الذنوب أحاطت بقلبه وغلبت عليه، وأصابت قلبه بالصدأ، مما يؤدي إلى ضعف القلب ومرضه وعجزه عن الفهم وتدبر الآيات، وكأن هناك حجاباً بينها وبين الحق فلا تستجيب له، ولا تنقاد له، روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢][٣].

فالران يعمي القلب ويميته، فيحرم نفسه من خيري الدنيا والآخرة، ويألف المعاصي ولا يستطيع الخلاص منها مستغرقا فيها .

يقول بن القيم" وَالرَّيْنُ " " وَالرَّانُ " هُوَ الْحِجَابُ الْكَثِيفُ الْمَانِعُ لِلْقَلْبِ مِنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ وَالِانْقِيَادِ لَهُ " [٤].

وهذا المرض من أمراض أهل الكفر، ويدل على ذلك سياق الآيات، فإنه يخاطب المكذبين الذين يَدَّعُون أن القرآن ما هو إلا أساطير الأولين ، قَال

---

(١) سورة المطففين الآية ١٤.

(٢) سورة المطففين الآية ١٤.

(٣) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بَاب وَمِنْ سُورَةِ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، ج٥ص٤٣٤ رقم٣٣٣٤. هذا حديث حسن صحيح.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج١ص١٥٠.
انظر فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ج٥ص٤٨٥، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .

تَعَالَى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

يقول النيسابوري" وأما الرين فمن صفة الكفار الذين صارت ملكاتهم الذميمة في غاية الرسوخ حتى أظلم سطوح قلوبهم بل دخلت الظلمة أجوافها وبلغت الكدورة صفاقها." [2].

١٤-الخَتْمُ على القلب:

"الختم: التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء. والمعنى أنها لا تعقل ولا تعي خبرًا" [3] .

الختم من الأمراض الغاية في الشدة إذ يعد بمثابة حاجز لا ينفذ الحق من خلاله إلى القلب، فلا يتمكن من الاهتداء إلى طريق النجاة وكأنه أغلق على قلبه، ومن ثم يتأثر بهذا السمع والبصر، فالحواس سليمة ولكنها لا ينفذ منها شيء إلى القلب، فالآية الكريمة تصور ما في قلوبهم من حواجز تحول دون إيمانهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (*) خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ

---

(١) سورة المطففين الآيات ١٣- ١٤.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمِّي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) ج٦ص٤٦٥، المحقق: الشيخ زكريا عُمَيْرَات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ .

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)ج١ص٤٨٩، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م

وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾[١]، وقال تعالى: **﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾**[٢] .

" والخَتْمُ الكَتْمُ سمى به الاستيثاقُ من الشيء بَضْرِبِ الخاتم عليه لأنه كَتْمٌ له وبلوغ آخره ولا ختم على الحقيقة وإنما المراد به ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا يؤثر فيها الإنذار ولا ينفذ فيها الحق أصلا وسمى هذه الهيئة على الاستعارة ختما"[٣].

والختم على القلوب لا يعد إجبارا للكفار على الكفر، بل استحقوا الختم بكفرهم عقوبة لهم على إصرارهم على الكفر، فلو جاهدوا للوصول إلى الحق بقلب مقبل على ذلك، يلتمس طريقا للوصول إلى الحق لوفَّقَهم الله، ولما ختم على قلوبهم، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا ﴾**[٤]، إنما كانوا يلتمسون كل طريق يستطيعون من خلاله هدم الإسلام والطعن فيه وفي القرآن، فتماديهم في الكفر حرمهم من توفيق الله وهدايته، وزادهم الله ضلالا، قال

---

(١) سورة البقرة الآيات ٦- ٧.

(٢) سورة الجاثية الآية ٢٣.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج١ص٤٢، انظر تفسير السمعاني: (تفسير القرآن)، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ج١ص٤٧، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٤) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[1]، وقال تعالى :﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاّ قَلِيلاً ﴾[2]، فالطبع والختم وغيرها من الأمراض استحقها الإنسان بما كسبت يداه، وهذا المرض من أمراض أهل الكفر الذين سبق الله في علمه أنهم لا يستجيبون لدعوته، وليس مطلق الكفار، بدليل أن من الكفار من استجاب لدعوة الرسول ﷺوآمن واختصاص هذا المرض بأهل لكفر مستفاد من سياق الآية، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3] فقد حكم الله عليهم بعدم الإيمان، وأصيبوا بالختم على القلوب فلا يرجى شفاؤهم من هذا المرض.

١٥-الطبع على القلوب:

"الطبع أن تصور الشيء بصورة ما كطبع الدراهم بالسكة. قال بعضهم: هو أعم من الختم وأخص من النقش، والطبيعة: السجية التي طبع عليها الإنسان تصويراً أنه نقش ذلك فيه. وهو كالفطرة. وقيل للسجية طبيعة من حيث إن النفس تنتقش بصورة ما؛ إما من حيث الخلقة وإما من حيث العادة وهو فيما ينتقش به حيث الخلقة أغلب وقال أبو بكر: أصل الطبع من الوسخ والدنس يغشيان السيف. ويقال: طبع يطبع طبعا، فاستعير لما يوسخ ويدنس من الآثام وفعل القبائح[1]."

---

(١) سورة المنافقون الآية ٣.

(٢) سورة النساء الآية ١٥٥.

(٣) سورة البقرة الآية ٦.

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ج٢ص٣٩٥انظر المفردات في غريب القرآن ص٥١ .

وبالنظر إلى أقوال المفسرين نجد أن أكثرهم يفسر الطبع بالختم على أنهما مترادفان، ولكن فَرَّق بينهما بن القيم فقال "الختم والطبع يشتركان في التغطية على الشيء والاستيثاق منه، فلا يدخله شيء، ويفترقان في معنى آخر، وهو أن الطبع ختم يصير سجيّة وطبيعة، فهو تأثير لازم لا يفارق" (١).

وبذلك يكون الطبع أشد من الختم إذ به أصبحت التغطية على قلب الكافر والخلل الذي أصابه أمر طبعي، ملازم له لا يفارقه، وهذا يدل على خطورته، إذ لا ينفك عن الكافر، وأضف إلى ذلك أن الطبع غير قاصر على القلب بل يشمل السمع والبصر، قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَسَمْعِهِمْ، وَأَبْصَارِهِمْ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾(٢)، فطبع الله على قلوب الكافرين، فأصبحوا لا يهتدون إلى طريق الهداية، وأَصَمَّهم فلا يسمعون صوت الحق، وأعمى أبصارهم فلا ينتفعون بما يبصرون من آيات ودلائل وبراهين، فأصبحت الحواس معطلة وإن كانت سليمة في الظاهر، وهذا المرض الذي أصابهم إنما يكون عقوبة على كفرهم واختيارهم الضلال على الهدى، وإصرارهم على ذلك وعنادهم ،قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١)، فالطبع مرض خطير، يحرم صاحبه من خيرات كثيرة، أولها الإيمان بالله، قال تعالى:" ﴿**فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ يَعْنِي: مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ

(١) تفسير القرآن الكريم ابن القيم، ص١١٥، انظر: الفروق اللغوية تأليف: أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكرى، ص٧٣، حقق وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر، القاهرة، مصر.

(٢) سورة النحل الآية ١٠٨.

(١) سورة النساء الآية ١٥٥.

لَا مِمَّنْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ، لِأَنَّ مَنْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ لَا يُؤْمِنُ أَبَدًا، وَأَرَادَ بِالْقَلِيلِ: عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ وَأَصْحَابَهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا يُؤْمِنُونَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا"(١).

" وَهُوَ مِنْ تَأْكِيدِ الشَّيْءِ بِمَا يُشْبِهُ ضِدَّهُ إِذِ الْإِيمَانُ لَا يَقْبَلُ الْقِلَّةَ وَالْكَثْرَةَ، فَالْقَلِيلُ مِنَ الْإِيمَانِ عَدَمٌ، فَهُوَ كُفْر"(٢).

ويحرم الطبع صاحبه من نعمة العلم ،قال تعالى:﴿**وَطَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾(٣)، وأيضا يحرمه من نعمة الانتفاع بالسمع ،قال تعالى :﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ**﴾(٤)، وكذلك يفقد نعمة الفهم ، قال تعالى:﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ**(٥) **وَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ**﴾(١)، وقال تعالى:﴿**ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ**﴾(٢)، وهذا المرض اختص به الله أهل الكفر، قال تعالى

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين ابن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هج٢ص٣٠٦)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية–سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

(٢) التحرير والتنوير ج٦ص١٨.

(٣) سورة التوبة الآية ٩٣.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٠٠.

(٥) الخوالف: "النساء وهُنَّ الخوالف خلف الرجال في البيوت" انظر تفسير الطبرى، ج١١، ص ٦٢٨.

(١) سورة التوبة الآية ٨٧.

(٢) سورة المنافقون الآية ٣.

﴿كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ﴾(١)، **﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاّ قَلِيلاً﴾**(٢)، وهذا مستفاد أيضا من سياق الآيات التي ورد فيها الطبع على القلوب.

١٦-الغَمْرَة :

"أصل الغَمْر: إزالة أثر الشيء وبه سمي الماء الكثير لإزالته آثر سيله، وتد غمره الماء: إذا غطاه وستره وسميت الشدة غمرة لأنها تغمر القلب، أي تركبه فتغطيه، ومنه قوله تعالى:**﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾**(٣)، أي جهلهم، وقيل: في حيرتهم. وقيل: في عمايتهم، وكلها متقاربة قوله: **﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾**(٤)، أي في غطاء وغفلة" (٥).

قال تعالى :**﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هذا وَلَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلِكَ هُمْ لَها عامِلُونَ﴾**(٦)، أي قلوب المشركين في غطاء يحول دون فهم وتدبر الدلائل والبراهين التي اشتمل عليها القرآن الكريم، فلا ينفذ نور القرآن إلى قلوبهم، ولا يستجيبون لدعوة الرسول ﷺ لما يغطي قلوبهم من حواجز تحول دون ذلك ،وترتب على فساد القلب بالغمرة فساد العمل، قال تعالى:**﴿وَلَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلِكَ هُمْ لَها عامِلُونَ﴾** أي ولهم أعمال أسوأ من غفلتهم

(١) سورة الأعراف الآية ١٠١.
(٢) سورة النساء الآية ١٥٥.
(٣) سورة المؤمنون الآية ٥٤.
(٤) سورة المؤمنون الآية ٦٣.
(٥)عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ج٣ص١٧٣
(٦) سورة المؤمنون الآية ٦٣.

كادعائهم أن القرآن ما هو إلا أساطير الأولين وأن الرسول ساحر مبين وأنه شاعر وأنهم كان يوصي بعضهم بعضا بعدم سماع القرآن ،قال تعالى :﴿**قَدْ كانَتْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سامِراً تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ**﴾[١].

يقول صاحب التفسير المنير" أي بل قلوب الكفار والمشركين في غفلة وضلالة من هذا البيان الشافي في القرآن، ومن هدايته لأقوم الطرق، وإسعاده للناس في دنياهم وآخرتهم. وَلَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلِكَ، هُمْ لَها عامِلُونَ أي ولهم أعمال سيئة منكرة غير ذلك أي غير الغفلة والجهل وهو الشرك والطعن في القرآن وإيذاء النبي ﷺ والمؤمنين، هم لها عاملون قطعا في المستقبل، وإنما قال ذلك لأن تلك الأعمال مثبتة في علم الله وفي اللوح المحفوظ ومكتوبة مسجلة عليهم سلفا، لإحاطة علم الله بها، وعلم الله لا يتغير. [٢]"

وتكمن خطورة هذا المرض أن الغمرة تحتوي القلب الذي هو محل العقيدة ،فمن لا يستطيع الخلاص مما استقر في قلبه من عقائد وموروثات باطلة، ولا تصل الهدايات إلى قلبه فيظل على كفره ،ويفسد قلبه ،ويشقى في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ٦٦- ٧٠.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي ج١٨ص٧٢، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ،

يقول الشيخ الشعراوي:" ونلحظ هنا أن الغمرة لا تحتويهم هم، إنما تحتوي القلوب: ﴿**بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ**﴾[١]، وهذه بلوى أعظم؛ لأن القلب محلٌّ لحصيلة المدركات التي يأخذها العقل، ويُميِّز بينها ويختار منها ويُرجّح، ثم تتحول هذه المدركات إلى عقائد تستقر في القلب وعلى هَدْيها تسير في حركة الحياة. لذلك إنْ كان القلب نفسه في الغمرة فالمصيبة أشدّ والبلاء أعظم؛ لأنه مُسْتودع العقائد والمبادئ التي تُنير لك الطريق "[٢].

١٧-اللهو" :

اللَّهْو: " كل بَاطِل ألهى عَن الْخَيْر وَعَما يَعْنِي فَهُوَ لَهو"[٣].

اللهو من الأمراض التي تعتري القلب، ولا سيما فيما لا يوافقها ،فاتخذ أهل الكفر الدين لهوا ولعبا، وذلك لِمَا استقر في قلوبهم من الكفر والإعراض والعناد، ولإغترارهم بما هم فيه متاع الحياة الدنيا، قال تعالى :﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾[٤]، وقال تعالى:﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (*) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (*) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**﴾[١]، تتحدث الآية الكريمة عن الكفار وما يصيبهم من الغفلة

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٦٣.

(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر، ج١٦ص١٠٠٧٣، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، ص٧٧٨، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٤) سورة الأعراف الآية ٥١.

(١) سورة الأنبياء الآيات ١– ٣.

والإعراض عن القرآن، فكلما تجدد نزول الوحي لعلهم يتعظون أو يتذكرون ما زادهم إلا إعراضا ونفورا، لا تصل هدايته إلى قلوبهم، فقلوبهم لاهية عمَّا ينفعها، تشغلها الدنيا ومتاعها، ومن أثر لهو القلوب على جوارحهم أنها لا تَسْكَن عند سماع القرآن، فلو سكن القلب لسكنت الجوارح، ولكن آثروا اللعب عند سماع القرآن، فحرموا أنفسهم من الانتفاع به ومن تدبره، بالإضافة إلى أنهم أخذوا يتناجون بما يطعن في رسول الله ﷺ بكونه بشرا مثلهم وبأنه ساحر وادعائهم أن القرآن سحر، ولو كان ما يتناجون به حقا وصدقا ما أَسَرُّوه ولجهروا به.

يقول بن القيم ". فإن الكلام له لفظ ومعنى، وله نسبة إلى الأذن والقلب وتعلق بهما. فسماع لفظه حظ الأذن، وسماع حقيقة معناه ومقصودة حظ القلب. فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود والمراد الذي هو حظ القلب. وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذن في قوله ﴿ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[1]، وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه، أو تمكنه منها، وأما مقصود السماع وثمرته، والمطلوب منه: فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه"[2].

١٨- القسوة :

"قست في اللغة غلظت ويبست وصلبت فتأويل القسو في القلب ذهاب اللين والرحمة والخضوع والخشوع منه" [1].

---

(١) سورة الأنبياء الآيات ٢- ٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ج١ص٤٦ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ،المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو سحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) ج١ص١٥٥، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي ،الناشر: عالم الكتب – بيروت ،الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

ذمَّ الله أصحاب القلوب القاسية، وأقساها قلوب اليهود، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[1]، صور الله قسوة قلوب أهل الكفر تصويرا بديعا، فضرب لها مثلا بالحجارة في القسوة والصلابة، بل أشد قسوة منها، إذ من الحجارة ما يتفجر منها الأنهار فتكون مصدراً للخير الوفير، ومنها ما يتشقق فيخرج منه الماء، ومنها ما يهبط من خشية الله، قال تعالى : **﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾**[2]،هذا مع فقدها لنعمة العقل ،أما أهل الكفر فلا تلين قلوبهم لموعظة، ولا تتأثر بها، ولا تقبلها، ولا ينفذ نور الحق إلى قلوبهم، فالحجارة يُنْتَفَعُ بها، أما قلوبهم فلا تنفع صاحبها ولا غيرهم ،وذلك لما استقر في قلوبهم من الكفر والعناد، فهبطوا بأنفسهم إلى منزلة أقل من منزلة الجماد الذي لا يعقل.

"وَصَفَ الْحِجَارَةَ بِالصِّفَاتِ الثَّلَاثَةِ الْآتِيَةِ بَعْدَ أَنْ شَبَّهَ الْقُلُوبَ بِهَا فِي الصَّلَابَةِ الْمُطْلَقَةِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَبَيْنَهَا بِالْإِضْرَابِ، وَالِانْتِقَالِ إِلَى أَنَّ الْقُلُوبَ أَشَدُّ صَلَابَةً، وَأَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ وَجْهَ ضَعْفِ الصَّلَابَةِ فِي الْحِجَارَةِ وَشِدَّتِهَا فِي الْقُلُوبِ، وَفِي الْكَلَامِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ أَنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ فَقَدَتْ خَاصِّيَّةَ التَّأَثُّرِ وَالِانْفِعَالِ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْآيَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَوَاصِّ الرُّوحِ

(١) سورة البقرة الآيات ٧٢- ٧٤.

(٢) سورة الحشر الآية ٢١.

الْإِنْسَانِيِّ، حَتَّى كَأَنَّ أَصْحَابَهَا هَبَطُوا مِنْ دَرَجَةِ الْحَيَوَانِ إِلَى دَرَكَةِ الْجَمَادِ كَالْحِجَارَةِ، بَلْ نَزَلُوا عَنْ دَرَكَةِ الْحِجَارَةِ أَيْضًا، وَذَلِكَ مَا أَفَادَهُ قَوْلُهُ – تَعَالَى– : **﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾** : أَنَّ الْحِجَارَةَ عَلَى صَلَابَتِهَا وَقَسْوَتِهَا تَتَأَثَّرُ بِالْمَاءِ الرَّقِيقِ اللَّطِيفِ فَيَشُقُّهَا وَيَنْفُذُ مِنْهَا بِقِلَّةٍ أَوْ كَثْرَةٍ، فَيُحْيِي الْأَرْضَ وَيَنْفَعُ النَّبَاتَ وَالْحَيَوَانَ، وَأَمَّا هَذِهِ الْقُلُوبُ فَلَمْ تَعُدْ تَتَأَثَّرُ بِالْحِكَمِ وَالنُّذُرِ وَلَا بِالْعِظَاتِ وَالْعِبَرِ، فَالْحِكَمُ لَا تَقْوَى عَلَى شَقِّهَا وَالنُّفُوذِ مِنْهَا إِلَى أَعْمَاقِ الْوِجْدَانِ، وَأَنْوَارُ الْفِطْرَةِ قَدِ انْطَفَأَتْ فِيهَا فَلَا يَظْهَرُ شُعَاعُهَا عَلَى إِنْسَانٍ" (١).

ومما يفيد شدة قسوة قلوب الكفار أنها كانت بعد رؤية المعجزات كإحياء الموتى، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ...﴾** (٢)، وأيضا وصف الحجارة في الآية الكريمة بثلاثة أوصاف أنها تتفجر، وتتشقق، وتهبط فكلها تفيد اللين بدرجات مختلفة، وكأن قلوب الكفار انعدم لديها اللين قليله وكثيرة، ونظير هذه الآية قوله تعالى : **﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**(١)، فتوعد الله القلوب القاسية بالعذاب، وترتب على قسوتها كونها في ضلا ل بين واضح، وأيضا يترتب على القسوة الجرأة على كتاب الله وتحريفه، قال تعالى: **﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا**

(١) تفسير المنار ج١ص٢٩٣.انظر البحر المحيط في التفسير ج١ص٤٣٢:٤٣٣

(٢) سورة البقرة الآيات ٧٢– ٧٣.

(١) سورة الزمر الآية ٢٢.

مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ ﴾[١]، فالقلوب القاسية على شدتها ضعيفة تمكن منها الشيطان وفتنها وزين لها أعمالها، فهي من أضعف القلوب، وأسرعها قبولا للشبهات والفتن وميلا لأهواء النفس، قال تعالى: **﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾**[٢]، وقال تعالى: **﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾** [٣]، ولخطورة هذا المرض حذرنا الله منه ومن التشبه بأهل الكتاب فيه، قال تعالى : **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾**[٤].

"وللقلب القاسي علامات: منها جمود العين، وطول الأمل، وعدم الحزن على ما فاته من الطاعات وما صدر منه من السيئات، وعدم الفرح بما يصدر منه من الطاعات، فإن المؤمن تسره حسناته وتسيئه سيئاته" [١].

---

(١) سورة المائدة الآية ١٣.

(٢) سورة الأنعام الآية ٤٣.

(٣) سورة الحج الآية ٥٣.

(٤) سورة الحديد الآية ١٦.

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، ج١ص١٢١، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ .

ونفى الله هذا المرض عن رسول الله، لما يترتب عليه من نفرة الناس عنه، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾(١)، "الْفَظُّ الَّذِي يَكُونُ سَيِّءَ الْخُلُقِ، وَغَلِيظُ الْقَلْبِ هُوَ الَّذِي لَا يَتَأَثَّرُ قَلْبُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَقَدْ لَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ سَيِّءَ الْخُلُقِ وَلَا يُؤْذِي أَحَدًا وَلَكِنَّهُ لَا يَرِقُّ لَهُمْ وَلَا يَرْحَمُهُمْ، فَظَهَرَ الْفَرْقُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ" (٢).

وخلاصة القول أن القسوة مرض إذا تمكن من القلب أثر على عقيدة الفرد وعلى أعمال الجوارح، فيتجرأ على المحرمات كما فعل أهل الكتاب، ويهلك نفسه بما كسبت يداه.

* * * * * *

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٢) مفاتيح الغيب ج٩، ص ٤٠٧.

المبحث الثاني
أمراض قلوب أهل الإيمان

١-الإثم :

الْإِثْم: [الذَّنب] والوزر فِي الْمعْصِيَة. ثمَّ يستعار فِيمَا يحصل بِهِ الْإِثْم " (١).

من أمراض القلوب التي تحدث عنها القرآن الكريم الإثم، قال تعالى : **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾**(٢)، فالآية الكريمة نهت عن كتمان الشهادة؛ لما يترتب عليه من إضاعة الحقوق والظلم، فالشهادة تكون باللسان ومع ذلك أضاف القرآن الكريم إثم هذه المعصية إلى القلب وذلك لما كان بين القلب والجوارح من علاقة وثيقة، فهو الباعث عليها، والداعي لها؛ ولأن الكتمان محله القلب، فأثم بكتمه للشهادة وإيثاره للباطل وبغضه للحق وإتباعه هوى النفس، فالقلب الكاتم للشهادة مريض ضعيف تمكن المرض منه، وعطل الجوارح عن القيام بواجبها، فكان بمثابة الملك الفاسد الذي أفسد رعيته .

يقول الزمخشري" ما فائدة ذكر القلب– والجملة هي الآثمة لا القلب وحده؟

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي ص١٤٧، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٣.

قلت: كتمان الشهادة: هو أن يضمرها ولا يتكلم بها، فلما كان إثما مقترفا بالقلب أسند إليه، لأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ولأنّ القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله، فكأنه قيل: فقد تمكن الإثم في أصل نفسه، وملك أشرف مكان فيه. لئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط، وليعلم أنّ القلب أصل متعلقة ومعدن اقترافه، واللسان ترجمان عنه. ولأنّ أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها" (١).

فهذه الآية تفيد أن من مكنونات القلب ما يحاسب عليه العبد، وذلك إذا أدى إلى فوات حق، وامتناع عن أداء واجب أوجبه الله تعالى، أما خواطر القلوب التي لا يترتب عليها شيء من ذلك، فلا يأثم القلب بها، فالإثم يكون على ما يترتب عليه فساد.

" فأعمال القلب ليست معفاة من الإثم دائمًا، إنما الذي يعفى من العقاب ما يجول بخاطره ويتمناه من غير أن يكون له أثر في الجوارح ،وأحيانا تكون عزيمة القلب وحدها هي موضع المؤاخذة، وذلك إذا كان عمل القلب كف الجوارح عن العمل في موضع يجب فيه العمل، فترك الواجبات كلها موضع مؤاخذة، ومن ذلك ترك الشهادة. وفي الشرع الإسلامي جرائم تسمى جرائم الترك، وهي الجرائم التي يكون الجزاء فيها ليس على الفعل، ولكن على ترك واجب، ومن ذلك النوع كتمان الشهادة، فهو ترك الواجب، وهو إثم وجريمة بسبب ذلك الترك"(٢).

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج١ص ٢٢٩:٢٣٠بتصرف

(٢) زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) ج٢ص١٠٨١:١٠٨٢بتصرف، دار النشر: دار الفكر العربي .

٢-الغِلّ :

"وأصل الغلّ، من الغلة والغليل، وهو ما يجده الإنسان فى داخله من حرارة العطش، ومعناه هنا: العداوة والحقد، حيث تغلى الصدور، وتحترق القلوب بنار الحقد والعداوة"(١).

الغل من أمراض القلوب التي تثير في النفس مشاعر البغض والكراهية تجاه الآخرين لما اختصوا به من نعم ،وهذا يفسد القلب ويؤدي إلى ترك الواجب من أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ،فمتى تمكن الغل من القلب أثر على العمل، وتحولت تلك المشاعر إلى أقوال وأفعال تجاه من أضمر له غلا، فيقع في المعاصي والآثام؛ لأن ما يضمره القلب تترجمه الجوارح، فالقلوب هى منبع هذه المشاعر، من حقد وكراهية وبغض، فعلى الفرد أن يحذر من أن تتمكن منه أو تستقر فيه هذه المشاعر، ولخطورة هذا المرض كان من دعاء المؤمنين أن يطهر قلوبهم من هذا المرض ، قال تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ**﴾(٢)، "أَيْ سَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُطَهِّرَ نُفُوسَهُمْ مِنَ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ لِلْمُؤْمِنِينَ السَّابِقَيْنِ عَلَى مَا أُعْطُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ صُحْبَةِ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فُضِّلَ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنَ الْهِجْرَةِ وَبَعْضُهُمْ مِنَ النُّصْرَةِ، فَبَيَّنَ الله لِلَّذين جاؤا مِنْ بَعْدِهِمْ مَا يُكْسِبُهُمْ فَضِيلَةً لَيْسَتْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَهِيَ فَضِيلَةُ الدُّعَاءِ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ وَانْطِوَاءِ ضَمَائِرِهِمْ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ وَانْتِفَاءِ الْبُغْضِ لَهُمْ. وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يُضْمِرُونَ مَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِهِ لَهُمْ فِي نُفُوسهم ويرضوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ"(٣).

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ج١٤ص٨٦٤:٨٦٥

(٢) سورة الحشر الآية ١٠.

(٣) التحرير والتنوير ج٢٨ ص٩٧:٩٨

ودعاء المؤمنين بذلك الدعاء نابع من محبة بعضهم بعضا، وهذا من حقوق المسلم على المسلم، فدعاؤهم في ذاته دليل على طهارة قلوبهم من هذا المرض، وأيضا طهر الله قلوب أهل الجنة من هذا المرض ،قال تعالى:﴿**وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ**﴾[1]، " أي: إن كان لأحدهم في الدنيا غلّ على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم، وقيل: معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة، ونزع منها كل غل، وألقى فيها التوادّ والتحاب. [2]"

فكلمة (إخوانا) في الآية تفيد ما يجب على المسلم من أن يكِّن لأخيه الإنسان من مشاعر المحبة والمودة، وأن يطهر قلبه من الغل، وهذا يحتاج إلى جهد ومشقة من الفرد، وسلامته منه ترتقي به إلى أعلى الدرجات، أخرج الإمام أحمد بسنده عن. أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: " يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ[3] أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ

(١) سورة الحجر الآية ٤٧.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج٢ ص٥٧٩

(٣) لاحيته أى خاصمته، انظر تقويم اللسانين، تأليف محمد تقى الدين الهلالى ص٨٢، ط مكتبة المعارف، ط الأولى ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ[1] وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: " يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيق"[2].

فلينهج المسلم نهج المسلمين السابقين وليدعو الله عز وجل ويستعن به ليسلم قلبه من هذا المرض، وليلزم الدعاء لإخوانه المسلمين بكل خير، حتى يستقر في قلبه محبتهم ومحبة الخير لهم، فيسلم قلبه من هذا الداء.

* * * * * *

(١) تعار يتعار تَعَارًا، إذا استيقظ من نومه، ولا يكون ذلك إلا مع كلام. انظر تهذيب اللغة، ج١، ص٧٦..

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل، ج٢٠ص١٢٥، رقم١٢٦٩٧، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، إسناده صحيح على شرط الشيخين ، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

المبحث الثالث

أمراض قلوب مشتركة بين أهل الإيمان وأهل الكفر

١-الرياء:

الرِّيَاءِ هو" طَلَبُ مَا فِي الدُّنْيَا بِالْعِبَادَةِ، وَأَصْلُهُ طَلَبُ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ" (١) .

الرياء من اخطر أمراض القُلُوب وتكمن خطورته في فساد القصد، فيتوجه الإنسان بقلبه إلى غير الله عز وجل، ويطلب المنزلة والمكانة عند الخلق دون الخالق، فالرياء مفسد للقلب والعقيدة، حيث أشرك مع الله غيره، قَالَ تعالى: ﴿**فمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾(٢)، روى الإمام أحمد بسنده عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ " إِنَّ اللهَ يَقُولُ: " يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً "إسناده حسن(٣).

وروى الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٢٠ص٢١٢

(٢) سورة الكهف الآية ١١٠.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث محمود بن لبيد، ج٣٩ص٤٤ رقم ٢٣٦٣٦

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزهد والدقائق، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ،ج٤ص٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥

ولقد توعد الله صاحبه بالعذاب، قال تعالى:﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾(١)، وهو من صفات المنافقين، قال تعالى:﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا**﴾(٢)، فهذه الآية أفادت أن من سمات المنافق المرائي الكسل عن الصلاة؛ لأنه لا يؤمن بالله ولا يبتغي الثواب عند الله، فمن ثم لا يصلون إلا من باب إظهار الإسلام أمام المسلمين ليخدعوهم، ولا يذكرون إلا قليلا، وذلك لفساد القصد والعقيدة، فالرياء من الأمراض المشتركة بين أهل الكفر وأهل الإيمان ،فقد يكون المسلم موحدا بالله ولكنه يميل ويسكن إلى مدح الآخرين، ومنزلته عند الناس أهم إليه من منزلته عند الله ، وذلك لما فُطِرَ عليه البشر من حب الدنيا، والمنافق يرائي بهدف الخداع للمسلمين.

يقول القرطبي" الرِّيَاءُ عَلَى ثَلَاثَةِ وُجُوهٍ، أَحَدُهَا– أَنْ يَعْقِدَ فِي أَصْلِ فِعْلِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَيُرِيدَ بِهِ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّهُ لِلَّهِ، فَهَذَا صِنْفٌ مِنَ النِّفَاقِ وتشكك في الايمان والآخر يَدْخُلُ فِي الشَّيْءِ لِلَّهِ فَإِذَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ غَيْرُ اللَّهِ نَشِطَ، فَهَذَا إِذَا تَابَ يَزِيدُ أَنْ يُعِيدَ جَمِيعَ مَا عَمِلَ. وَالثَّالِثُ– دَخَلَ فِي الْعَمَلِ بِالْإِخْلَاصِ وَخَرَجَ بِهِ لِلَّهِ فَعُرِفَ بِذَلِكَ وَمُدِحَ عَلَيْهِ وَسَكَنَ إِلَى مَدْحِهِمْ، فَهَذَا الرِّيَاءُ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ"(٣)

والمراؤون هم أول من يقضى عليهم يوم القيامة، ويحبط الرياء أعمالهم وإن كانت عظيمة كالجهاد وتعلم العلم والإنفاق في سبيل الله ،فتصبح أعمالهم

---

(١) سورة الماعون الآيات ٤– ٧.

(٢) سورة النساء الآية ١٤٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٥ص١٨٣

هباء منثورا، تشبه أعمالهم بأعمال الكافرين في عدم الإثابة عليها، قال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾**(١)، وفي السنة النبوية ما يؤكد على حبوط أعمال المرائين، روى الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ"(٢).

فالحديث الشريف بيّن أن الرياء محبط للعمل، فقد أهلك المرائي نفسه في الآخرة مع ما بذله من أعمال صالحة وعظيمة في الدنيا، وذلك لما

---

(١) سورة النور الآية ٣٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، ج ٣ص١٥١٣ رقم ١٩٠٥ .

طلب المنزلة عند الناس، وطلب المنزلة عند الله بالطاعة، أولى من طلبها عند الناس بالرياء.

" فصفاء الطوية وحسن الاعتقاد كالأساس في باب الأعمال، فكما ان البناء لا يقوم على الماء بل يقوم على الأرض الصلبة كذلك الأعمال لا تقوم إلا على محكم الاعتقاد، وهو الباعث على الإخلاص في العمل الذي هو إرادة التقرب إلى الله تعالى "[١].

فالرياء مرض يضعف القلب ويفسده، ويفسد أعمال الجوارح، وأضف إلى ذلك أن المرائي يكون قرينا للشيطان تَمَكَّنَ من النفاذ إلى قلبه و أفسده ،قال تعالى:﴿**وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا**﴾[٢]، ومن أخطر ما يكون أنه يدخل العبادات كالصلاة والإنفاق في سبيل الله وغيرها، قال تعالى:﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ**﴾[٣]، وقرن الله الرياء بعدم الإيمان بالله واليوم الآخر؛ وذلك لأن المرائي لو كان مؤمنا بهما لابتغى الأجر عند الله والثواب في ذلك اليوم، وليس الأجر في الدنيا بالمنزلة عند الناس، وهذا يدل على خطورة هذا المرض، وإذا كان الرياء في العبادات

---

(١) روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ج٣ص٥١٢:٥١٣بتصرف، الناشر: دار الفكر – بيروت .

(٢) سورة النساء الآية ٣٨.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٤.

خطير فهل الأولى إخفاؤها أم إظهارها، يقول الفخر الرازي " فَقَالَ بَعْضُهُمْ الْأَوْلَى إِخْفَاؤُهَا صَوْنًا لَهَا عَنِ الرِّيَاءِ وَقَالَ آخَرُونَ: الْأَوْلَى إِظْهَارُهَا لِيَرْغَبَ الْغَيْرُ فِي الِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي أَدَاءِ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ وَتَوَسَّطَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فَقَالَ: إِنْ كَانَ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الرِّيَاءِ الْأَوْلَى الْإِخْفَاءُ صَوْنًا لِعَمَلِهِ عَنِ الْبُطْلَانِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَ فِي الصَّفَاءِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ إِلَى حَيْثُ صَارَ آمِنًا عَنْ شَائِبَةِ الرِّيَاءِ كَانَ الْأَوْلَى فِي حَقِّهِ الْإِظْهَارَ لِتَحْصُلْ فَائِدَةُ الِاقْتِدَاءِ"(١).

وخلاصة القول أن الرياء مفسد للقلب والقصد ومفسد للعمل محبط له، مستحق صاحبه للعقاب، فهو مرض يحتاج إلى جهاد النفس والهوى، وإلى إخلاص النية لله في كل عمل، والحذر من فساد النية دائما لما فيه من التشبه بأهل الكفر .

٢- النفاق:

النفاق هو : هُوَ إِظْهَارُ الْخَيْرِ وَإِسْرَارُ الشَّرِّ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ: اعْتِقَادِيٌّ، وَهُوَ الَّذِي يَخْلُدُ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ، وَعَمَلِيٌّ وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: الْمُنَافِقُ يُخَالِفُ قَوْلُه فِعْلَهُ، وسِرّه عَلَانِيَتَهُ، وَمَدْخَلُهُ مَخْرَجَهُ، وَمَشْهَدُهُ مَغِيبه"(٢).

والنفاق الاعتقادي هو أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر فمحله القلب، وهو خاص بالعقيدة، وهذا النوع من النفاق هو الذي تحدث عنه القرآن في العديد من آياته وتوعد أصحابه بالعذاب الأليم، وكان بداية ظهوره في المدينة بعد غزوة بدر، وهؤلاء المنافقون يبغضون الله ورسوله والمسلمين، ولا يحبون لهم أن تقوى شوكتهم أو أن يظهروا على الكافرين، بل يوالون أعداء الإسلام

(١) مفاتيح الغيب ج١٤ص٢١٨، انظر : موسوعة فقه القلوب، ج٢ص ١٣٩١:١٣٩٣، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج١ص١٧٦

والمسلمين من الكفار، ويحبون ظهورهم على المسلمين، وهذا النوع من النفاق لا يدخل فيه أهل الإيمان .

" فالمنافقون الذين نددت بهم الآيات الكثيرة هم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر على ما تلهم نصوص الآيات وعلى ما يقرره جمهور العلماء والمفسرون" (١).

أما النفاق العملي فهو مختص بالعمل دون العقيدة، وهو من الذنوب التي يأثم بها صاحبها، وقد حذر منه القرآن والسنة، ويدخل في هذا النوع المسلمون الموحدون لله بقلوبهم، لكن يخالف ظاهرهم باطنهم في القول والعمل، كالكذب والخيانة وغيرها، روى الإمام البخاري بسنده عن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ "(٢).

فمن اتصف بصفة من هذه الصفات فقد شابه أهل النفاق، والنفاق من الأمراض الخطيرة التي تصيب القلب، وتفسده وتخرج عن حد الاعتدال، وتؤثر على عقيدة الفرد وأعمال جوارحه، ولخطورته ورد الحديث عنهم في آيات كثيرة في القرآن الكريم، وورد الحديث عنهم في سورة البقرة في ثلاثَ عَشْرَةَ آية بخلاف الكافرين حيث ورد ذكرهم في آيتين، وذلك لأن المنافقين أشد خطرا على الإسلام من الكفار، حيث إن عداوة الكفار واضحة وصريحة، أما المنافقون فإنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ومن ثم فعدواتهم خفية، ويتمثل خطر النفاق وأثره على أعمال القلوب وأعمال الجوارح فيما يلي:

---

(١) التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، المؤلف: دروزة محمد عزت، ج٦ص١٣٧ ،١٣٨، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، بَابُ عَلَامَةِ المُنَافِقِ، ج١ص١٦ رقم ٣٤

١- **الكذب ومخالفة الظاهر للباطن** ،قال تعالى :﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِين**﴾[١]، فيدّعي المنافقون الإيمان وتضمر قلوبهم الكفر، فظاهرهم خلاف باطنهم.

٢-**الخداع والغفلة وانعدام الشعور والإدراك**، قال تعالى:﴿**يُخادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ**﴾[٢]، يحسبون أنهم يخدعون الله بذلك، وهذا يدل على غفلتهم وجهلهم، فالله عز وجل يعلم ما يسرون وما يعلنون، ويخدعون الذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم، حيث ضرر هذا الخداع واقع عليهم بإهلاك أنفسهم، وهم يظنون سلامتها

يقول ابن كثير" سُمِّيَ مُخَادِعًا لِلَّهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَانَ خِدَاعًا لِلْمُؤْمِنِينَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا–فَهُوَ لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ خَادِعٌ، لِأَنَّهُ يُظْهِر لَهَا بِفِعْلِهِ أَنَّه يُعْطِيهَا أُمْنِيَّتَهَا، ويُسقيها كَأْسَ سُرُورِهَا، وَهُوَ مُوَرِّدُهَا حِيَاضَ عَطَبِهَا، ومُجرّعها بِهَا كَأْسَ عَذَابِهَا، ومُزيرُها مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ مَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ، فَذَلِكَ خَدِيعَتُهُ نَفْسَهُ، ظَنًّا مِنْهُ –مَعَ إِسَاءَتِهِ إِلَيْهَا فِي أَمْرِ مَعَادِهَا–أَنَّهُ إِلَيْهَا مُحْسِنٌ"[٣].

٣- **ضعف قلوب المنافقين ومرضها وعدم قدرتهم على مواجهة المسلمين** بحقيقة أمرهم في أنهم لا يرغبون في الإسلام ،فقلوب المنافقين يتملكها الضعف والخوف والشك، ولما كان هذا النفاق باختيارهم بمحض إراداتهم زادهم الله منه، وعُذِّبُوا به في الدنيا والآخرة، بما يصيبهم في الدنيا من قلق واضطراب، فلا هم مع الكافرين ولا مع المؤمنين؛ لأنهم

---

(١) سورة البقرة الآية ٨.

(٢) سورة البقرة الآية ٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ،ج١ص ١٧٨بتصرف

مضطرون لإظهار شعائر الإسلام وغير قادرين على إظهار الكفر، وأيضا تضيق قلوبهم بكل نصر للمسلمين، وهذه مشاعر تصيب القلب بالألم، وفي الآخرة يكونون في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى :﴿**إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾(١)، وقال تعالى:﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ**﴾(٢).

" قَوْله تَعَالَى: ﴿**فِي قُلُوبهم مرض**﴾ الْآيَة، أَرَادَ بِالْمرضِ الشَّك والنفاق، بِإِجْمَاع الْمُفَسّرين" (٣).

"فالله سبحانه وتعالى، شبه ما في قلوب المنافقين بأنه مرض، والمرض أولا يورث السقم، فكأن قلوبهم لا تملك الصحة الإيمانية التي تحيي القلب فتجعله قويا شابا، ولكنها قلوب مريضة، أتعبها النفاق وأتعبها التنافر مع كل ما حولها، لا تقوى على قول الحق، ولا تقوى على الصدق، ولا ترى ما حولها، تلك الرؤية التي تتناسب وتتفق مع فطرة الإيمان، التي وضعها الله تعالى في القلوب" (١).

٤-**ومن خطورة النفاق** أن أصحابه يسعون في الأرض فسادا، وَيَّدعُون

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٠.

(٣) تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ج١ص٤٩، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-

(١) تفسير الشعراوي ج١ص١٥٩:١٤٧بتصرف.

الإصلاح ولا يشعرون بخطورة أفعالهم عليهم، قال تعالى :﴿**وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ (*) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلكِنْ لا يَشْعُرُونَ**﴾(١)، ولفساد المنافقين صور كثيرة منها، إفسادهم لقلوبهم بعقيدة الكفر والنفاق، وترتب على هذا الفساد فساد العمل من بطلان أعمالهم وعباداتهم ،حيث لا تقبل إلا من أصحاب القلوب المؤمنة، قال تعالى:﴿**وَما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسالى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كارِهُونَ**﴾(٢)، فالمنافقون لا تقبل صلاتهم ولا نفقاتهم ولا أي عمل من أعمالهم وإن كان صالحا لما أضمرت قلوبهم من الكفر، فخسروا أنفسهم وأهدروا حياتهم، وأبطلوا أعمالهم حيث لم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر، فلم يرجوا من الله ثوابا، فحكموا على أنفسهم بالشقاء في الدنيا والآخرة، وأيضا إشعال الفتن بين المسلمين وموالاة الكافرين، وإفشاء أسرار المسلمين لدى أعدائهم، وتحالفهم مع اليهود ضد المسلمين،قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلى لَهُمْ (٢٥) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ**

(١) سورة البقرة الآيات ١١– ١٢.

(٢) سورة التوبة الآية ٥٤.

(١) سورة النساء الآية ١٣٩.

الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُم ﴾[1]، كل ذلك من صور الفساد للمنافقين.

يقول القاسمي: "وكان إفساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمالئون الكفار على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم، وإغرائهم عليهم، واتخاذهم أولياء، مع ما يَدْعُون في السرّ إلى: تكذيب النبي ﷺ وجحد الإسلام، وإلقاء الشبه، وذلك مما يُجَرّئُ الكفرة على إظهار عداوة النبي ﷺ، ونصب الحرب له، وطمعهم في الغلبة، فلما كان ذلك من صنيعهم مؤدّيا إلى الفساد- بتهييج الفتن بينهم قيل لهم لا تفسدوا"[2].

٥-**السفه فالمنافقون يصفون أهل الإيمان** بأنهم سفهاء إذا دعوهم إلى الإيمان مع أن هذا الوصف هم أجدر به من غيرهم لعدم إدراكهم بما ينفعهم وإعراضهم عنه وإقبالهم على ما فيه ضرر لهم قال تعالى:﴿ وَإِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ قالُوا أَنُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ وَلكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾[3]، ومما يدل على سفههم أنهم اشتروا الضلالة بالهدى فخسروا الدنيا والآخرة، قال تعالى :**﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ ما كانُوا مُهْتَدِين ﴾**[1].

٦-**الحيرة والاضطراب وموالاة كل فريق** بما يوافقه والضلال، قال تعالى:**﴿وَإِذا**

---

(١) سورة محمد الآيات ٢٥- ٢٦.

(٢) محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود ج١ص٢٥٠، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

(٣) سورة البقرة الآية ١٣.

(١) سورة البقرة الآية ١٦.

لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ(*)اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1]، فيظهرون الولاء للمؤمنين وهم كارهون لخير الخلق وللمسلمين، قال تعالى: **﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدُورهُمْ أَكْبَرُ...﴾**[2]، ويبطنون الولاء لحزب الكفر ولا يستطيعون إظهاره إلا سرا، فلا يستقرون على حال، ولا تطمئن قلوبهم ولا تسكن، قال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ وَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاّ قَلِيلاً (*) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَلا إِلى هؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾**[3].

"فالنفاق، مرض إذا أصاب القلب فقد الإيمان بأي شيء من شئون الأخلاق أو الاتصال بالناس، فإنه يصبح في غربة عن أهل الحق وأهل المعرفة، والاتصال بهم، فيكون في جو معتم، تسوده الكآبة ولا يظله نور الحق، وذلك شر ما يقع فيه الإنسان "[4].

٧- **الإعراض** عن الحق بعد ظهوره وبعد مخالطتهم لنوره ، قال تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾**[1]، وقال

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٤- ١٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٨.

(٣) سورة النساء الآيات ١٤٢- ١٤٣.

(٤) زهرة التفاسير ج١ص١٢٧

(١) سورة المنافقون الآية ٣.

تعالى:﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ**﴾(١).

يقول بن القيم " حال المنافقين: ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم، وقلوبهم قد صليت بحرها وأذاها، وسمومها ووهجها في الدنيا، فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة نارا مؤصدة تطلع على الأفئدة.فهذا مثل من لم يصبه نور الإيمان في الدنيا، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به، وهو حال المنافق، عرف ثم أنكر وأقر ثم جحد. فهو في ظلمات أصم أبكم" (٢).

٨-**النفاق مؤثر في الجوارح** حيث إنه يفسد القلب فمن ثم تتعطل الجوارح ولا تؤدي ما يجب عليها ولا تستجيب لدعوة الحق ،قال تعالى:﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ**﴾(٣)، فصوت الحق لا يصل إلى قلوبهم، ونوره لا ينفذ إليها، ولا يتكلمون بالحق وإن تكلموا به ظاهرا، لكن لما كان مخالفا لاعتقاد القلب أصبح لا قيمة له كأن لم يكن، وأضف إلى ذلك أنهم عاجزون عن الإفصاح بما تضمر قلوبهم من الكفر، فكأنهم حرموا من نعمة السمع والبصر والنطق بعنادهم وإصرارهم على النفاق .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧.

(٢) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)ج١ص١٢٧

(٣) سورة البقرة الآيات ١٨- ١٩.

٩- **الجبن** قال تعالى: ﴿**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ** ﴾[١]، وَقَال تعالى: ﴿**وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا**[٢] **لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ** ﴾[٣]،هذه الآيات تفيد أن من صفات المنافقين الجبن، حيث إنهم في الغزوات يحاولون الهرب دائما؛ لأنهم مرضى القلوب لا يملكون الدافع للجهاد في سبيل الله، فهم يشعرون بالمشقة؛ لأنهم مضطرون للالتزام بما يلتزم به المسلمون وهم كارهون، فهم في مشقة نفسية وبدنية

وخلاصة القول أن النفاق مرض خطير، يضر بصاحبه عقيدة وعملا، ويضر بالمجتمع، يجب على كل مسلم أن يحذر منه، ويطهر قلبه بموافقة ظاهره لباطنه في كل ما يضمر القلب من معانى، وبخاصة في الجانب الاعتقادي حمايةً للعقيدة والعمل من الفساد.

٣-صغو القلوب :

"الصغو" " هو الميل إلى الشيء لا عن الشيء" [١].

---

(١) سورة المنافقون الآية ٤.

(٢) "لو يجدون ملجأ" حرزاً وحصناً ومعقلاً، "أو مغارات"، غيرانا في الجبال، جمع مغارة وهو الموضع الذى يغور فيه، أي يستتر وقال عطاء سراديب، "أو مدخلاً" أي موضع دخول فيه، وقال مجاهد: محرزاً، وقال قتادة: سرباً، وقال الكلبى: نفقاً في الأرض.
انظر تفسير البغوي" معالم التنزيل في تفسير القرآن" تأليف محيى السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ج ٤، ص ٥٩، ط دار طيبة، ط الرابع، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٣) سورة التوبة الآيات ٥٦- ٥٧.

(١) معاجم مفردات القرآن موازنات ومقترحات، المؤلف: أ. د. أحمد حسن فرحات ص٤٥،٤٦، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

الميل من أعمال القلوب، وكونه ممدوحاً أو مذموماً يختلف باختلاف متعلقة، وباختلاف مقصده وهدفه، فإذا كان الميل إلى الباطل فهذا مرض يعتري القلب، ويدل على فساده وسوء استعداده لقبول الحق، قال تعالى: **﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ(*) وَلِتَصْغى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾**[1]، فهذه الآيات تتحدث عن الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة، فقلوبهم تميل إلى الاستماع إلى الأقوال المزخرفة المزينة وهي في جوهرها باطلة ،يتخذها أعداء الأنبياء مدخلا لقلوب الآخرين لإفسادهم، وهذه الآية تبين ثلاث مراحل يمر بها الإنسان أولا الإصغاء والميل القلبي ثم الرضا ثم اقتراف المعاصي والذنوب، فالنفس إذا مالت رضيت وإذا رضيت وتمكن منها الرضا أخذت تقترف آثاماً وذنوباً، فهي ثلاث درجات ميل ثم يترقى إلى درجة أقوى وهي الرضا ثم تأخذ الجوارح في الاستجابة إلى رغبات القلب وميوله، وتتحول الميول إلى أفعال وهذا يؤكد الارتباط الوثيق بين القلب والجوارح، ويدل على مدى خطورة أمراض القلوب.

يقول السعدي "فهذه سنتنا، أن نجعل لكل نبي نرسله إلى الخلق أعداء، من شياطين الإنس والجن، **﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾** أي: يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء، **﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ﴾** أي: ولتميل إلى ذلك الكلام

(١) سورة الأنعام الآيات ١١٢– ١١٣.

المزخرف ﴿**أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**﴾ لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة، يحملهم على ذلك" (١).

وهذا المرض من الأمراض المشتركة بين أهل الكفر وأهل الإيمان ، وذلك لأن المسلم غير معصوم من الميل إلى المعصية، لكنه يجب أن يتوب إلى الله إذا أذنب، ويجاهد نفسه الأمارة بالسوء، قال تعالى: ﴿**إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ**﴾(٢).

"قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ**﴾ يَعْنِي حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ، حَثَّهُمَا عَلَى التَّوْبَةِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمَا مِنَ الْمَيْلِ إِلَى خِلَافِ مَحَبَّةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ﴿**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما**﴾ أَيْ زَاغَتْ وَمَالَتْ عَنِ الْحَقِّ. وَهُوَ أَنَّهُمَا أَحَبَّتَا مَا كَرِهَ النَّبِيُّ ﷺمِنَ اجْتِنَابِ جَارِيَتِهِ وَاجْتِنَابِ الْعَسَلِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مَالَتْ قُلُوبُهُمَا بِأَنْ سَرَّهُمَا أَنْ يَحْتَبِسَ عَنْ أُمِّ وَلَدِهِ، فَسَرَّهُمَا مَا كَرِهَهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقِيلَ: فَقَدْ مَالَتْ قُلُوبُكُمَا إِلَى التَّوْبَةِ. وَقَالَ: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما، وليس قوله: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما جَزَاءً لِلشَّرْطِ، لِأَنَّ هَذَا الصَّغْوَ كَانَ سَابِقًا، فَجَوَابُ

الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ لِلْعِلْمِ بِهِ. أَيْ إِنْ تَتُوبَا كَانَ خَيْرًا لَكُمَا، إِذْ قَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" (٣).

فالميل القلبي إلى ما خلاف ما جاء به الإسلام مرض يجب أن يحذره المسلم، ويجاهد هوى النفس حتى لا يهلك بفساد قلبه ومرضه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٦٩

(٢) سورة التحريم الآية ٤.

(٣)الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ج١٨ص١٨٨

٤-الزَّيْغ

"الزَّيْغُ: المَيْل عن الاستقامة" (١).

الزيغ من أمراض القلوب التي تصرف القلب عن الحق، وتميل به إلى الباطل متبعا هوى النفس ضعيفا أمامها ،لا يتمكن من ردها فتتسلط عليه وتفسد قلبه، وتحول دون استقامته وتهوى به، ولا يتوقف الأمر عند ذلك بل يترتب على الميل فساد العمل والمقصد والهدف، فإذا مال القلب عن الحق أخذ يتبع المتشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ليوافق أهواءه، فُيعمِل عقله في تأويل آيات القرآن الكريم بما يوافق ميل قلبه ورأيه وتفكيره، وبما يعينه على الوصول إلى هدفه، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ (٢).

"قال البعض: أنزلت هذه الآية في أبي ياسر بن أخطب، وأخيه حُييّ بن أخطب، والنفر الذين ناظروا رسول الله ﷺ في قَدْر مُدة أُكْلِه وأكْل أمته، وأرادوا علم ذلك من قِبَل قوله: "ألم والمص"، و"ألمر" و"الر"، فقال الله جل ثناؤه فيهم: فأما الذين في قلوبهم زيغ – يعني هؤلاء اليهود الذين قُلوبهم مائلة عن الهدى والحق فيتبعون ما تَشابه منه يعني: معاني هذه الحروف المقطّعة المحتملة التصريف في الوجوه المختلفة التأويلات ابتغاءَ الفتنة وقال آخرون: بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع في دينه بدعة مخالفةً لما ابتعث به رسوله محمدًا ﷺ، بتأويل يتأوله من بعض آيات القرآن المحتملة التأويلات، وإن كان الله قد أحكم بيانَ ذلك، إما في كتابه، وإما على لسان رسوله، وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك، فإنه معنىّ بها كل

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيزج٣ص١٥٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٧.

مبتدع في دين الله بدعةً فمال قلبه إليها، تأويلا منه لبعض مُتشابه آي القرآن، ثم حاجّ به وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من أدلة آية المحكمات، إرادةً منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين، وطلبًا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك، كائنًا من كان[١] " وإلى ذلك ذهب القرطبي والشوكاني، والألوسي [٢].

ومن ثم يكون هذا المرض من الأمراض المشتركة بين أهل الكفر والإيمان، حيث إن الآية نزلت في المشركين ويدخل فيها المسلمون، إذ قد يزيغ منهم من يتمكن منه هوى النفس فيتبع المتشابه من آيات القرآن ابتغاء تأويله بما يتفق مع تفكيره، ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا زاغوا أَزَاغَ الله قُلُوبَهُمْ**﴾[٣]، فإن القلوب إذا زاغت وآثرت الزيغ عن الاستقامة أزاغها الله وتركها في ضلالها، قال تعالى:﴿**وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصرفوا صَرَفَ الله قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ**﴾[٤] .

"فإن اعوجاج القلوب يجيء من تحكم الهوى في النفس، وإذا تحكم الهوى وسيطرت الشهوات المختلفة ، فإن القلوب تفسد، وتعوج، فلا تطلب الحق لذات الحق، بل تطلب ما يحقق شهوة النفوس ،ولذا قال سبحانه: ﴿**ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ**﴾ أي طلبًا لفتنة الناس عن دينهم وخدعهم، وإثارة الريب في قلوبهم،

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ص١٨٦ ،١٩٨،١٨٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٤ص١٣ وانظر فتح القدير ج١ص٣٦١ ، تفسر الألوسي، ج٢، ص ٨٠.

(٣) سورة الصف الآية ٥.

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٧.

بأوهام يثيرونها حول المتشابه الذي جاء في القرآن ﴿**وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ فهم قد ابتغوا التأويل بانبعاث من الهوى والرغبة في تشويه الحقائق وتضليل العقول، وهذا هو الفرق بين الزيغ، واستقامة الفكر [١]".

فالزيغ من أمراض القلوب التي تحيد بالإنسان عن الطريق المستقيم سواء كان كافرا أم مسلما، فيجب الحذر منه لما فيه من خلل وفساد للقلب، وانحراف عن الإسلام ومنهجه ،فالقلب السليم الخالي من الأمراض يتبع الحق الذي يحيي القلوب كيفما يكون وإن خالف هوى النفس؛ لأن فيه نجاته .

٥-حَوْلُ اللّهِ بين المرء وقلبه :

وأصل الحول:" تَغَيُّرُ الشيء وانفصالُهُ عن غيره، وباعتبار التغير قيل: حَالَ يَحُوْل حَوْلًا واسْتَحَال: تَهَيَّأ لأن يحول. وباعتبار الانفصال قيل: حال بيننا كذا، قال تعالى: ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾[٢][٣].

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[٤]، هذه الآية الكريمة توضح مدى قرب الله من العبد، وتمكنه من قلوب عباده، وقدرته على تحويلها من حال إلى حال، وأن يحول بينها وبين مقاصدها ورغباتها ،فلا يتمكن العبد من إمضائها، فهو العالم بمكنون القلوب، وهو القادر على الحجز بينها وبين ما ترغبه، ومن ثم فيجب على المسلم ان يكون حريصاً

---

(١) زهرة التفاسير ج٢ص١١١١:١١١٤ بتصرف، انظر اللباب في علوم الكتاب ج٥ ص٣٨.

(٢) سورة سبأ الآية ٥٤،

(٣)عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ج١ص٤٦٨

(٤) سورة الأنفال الآية ٢٤.

على طاعة الله والاستجابة لله ورسوله في ما يدعو إليه من أمور الدين والدنيا ويخلص قلبه لله حتى لا يحول الله بينه وبين ما فيه نجاته، ويعمل على تنقية وشفاء قلبه من كل مرض بالاستجابة لله والرسول ،قبل أن يأتيه الأجل.

يقول الطبري" إِنَّ ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ أَمْلَكُ لِقُلُوبِ عِبَادِهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا إِذَا شَاءَ، حَتَّى لَا يَقْدِرَ ذُو قَلْبٍ أَنْ يُدْرِكَ بِهِ شَيْئًا مِنْ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ، أَوْ أَنْ يَعِيَ بِهِ شَيْئًا،. وَذَلِكَ أَنَّ الْحَوْلَ بَيْنَ الشَّيْءِ وَالشَّيْءِ إِنَّمَا هُوَ الْحَجْزُ بَيْنَهُمَا، وَإِذَا حَجَزَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَيْنَ عَبْدٍ وَقَلْبِهِ فِي شَيْءٍ أَنْ يُدْرِكَهُ أَوْ يَفْهَمَهُ، لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ إِلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ مَنَعَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِدْرَاكَهُ سَبِيلٌ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ، دَخَلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: يَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكُفْرِ وَبَيْنَ الْكَافِرِ وَالْإِيمَانِ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَقْلِهِ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ أَنْ يُؤْمِنَ وَلَا يَكْفُرَ إِلَّا بِإِذْنِهِ ،وَالْكَلَامُ مُحْتَمِلٌ كُلَّ هَذِهِ الْمَعَانِي، فَالْخَبَرُ عَلَى الْعُمُومِ حَتَّى يَخُصَّهُ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[1]، فَإِنَّ مَعْنَاهُ: وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، أَنَّ اللَّهَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى قُلُوبِكُمْ، وَهُوَ أَمْلَكُ بِهَا مِنْكُمْ، إِلَيْهِ مَصِيرُكُمْ وَمَرْجِعُكُمْ فِي الْقِيَامَةِ، فَيُوَفِّيكُمْ جَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ [2]"

وهذا المرض من الأمراض المشتركة بين أهل الكفر والإيمان لما ذهب إليه بن جرير الطبري وجمهور المفسرين من أن حول الله بين العبد وقلبه يشمل المؤمن والكافر[1]، فقوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾

(١) سورة الأنفال الآية ٢٤.

(٢) تفسير الطبري(ج١١ص١١٢،١١٣ بتصرف

(١) انظر : تفسير القرآن الكريم ابن القيم ص٣٠١

عام غير قاصر على فئة بعينها، فليقي الفرد نفسه من ذلك باستجابته لله ورسوله، فيسلم في الدنيا والآخرة بسلامة قلبه من الأدواء.

٦- الحسد :

" حَقِيقَةِ الْحَسَدِ: إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى أَخِيكَ بِنِعْمَةٍ فَإِنْ أَرَدْتَ زَوَالَهَا فَهَذَا هُوَ الْحَسَدُ، وَإِنِ اشْتَهَيْتَ لِنَفْسِكَ مِثْلَهَا فَهَذَا هُوَ الْغِبْطَةُ وَالْمُنَافَسَةُ، أَمَّا الْأَوَّلُ: فَحَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ"(١).

فالحسد نوعان الأول : وهو تمني زوال النعمة وهذا مذموم حَرَّمَهُ الإسلام، والثاني تَمَنَّي النعمة لنفسه دون زوالها عن غيره، وخاصة إذا كانت تلك النعمة متعَّلقَّة بأمر ديني وطاعة لله فهذا محمود، لما فيه من الحث على المنافسة في الخير، قال تعالى : ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (*) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ(*) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (*) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (*) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾(٢)، روى الإمام البخاري بسنده عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ"(٣).

فالحسد مرض من أمراض القلب يقع بسبب كراهية الإنسان النعمة على غيره، وهو من صفات اليهود والنصارى فكان أهل الكتاب يحسدون المؤمنين على نعمة الإيمان ويتمنون زوالها قال تعالى:﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ**

---

(١) مفاتيح الغيب ج٣ص٦٤٥

(٢) سورة المطففين الآيات ٢٢- ٢٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن،بَابُ اغْتِبَاطِ صَاحِبِ القُرْآنِ، ج٦ص١٩١ رقم ٥٠٥٢.

عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾(١)، وقال تعالى: **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾**(٢)، وقال تَعَالَى:**﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾**(٣)، فالآية الكريمة توضح أن الحسد بمثابة اعتراض على قضاء الله؛ لأن النعمة هي من فضل الله، وكراهيتُها وتمنِّي زوالها كراهيةٌ لما شاء الله وَقَدَّر، فالله عز وجل يعطي ويمنع لحكمة يعلمها الله عز وجل، والحاسد يفرح بما يقع من ضرر لغيره ويتأذى بما بما يكون من خير لغيره، قال تعالى:**﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾**(٤)، ولقد حذر منه رسول الله ﷺ لما له من أضرار دينا ودنيا، روى الإمام مسلم بسنده عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»(٥).

والحسد مفسد للقلب ؛لأن الحاسد تارك للواجب حيث يتمنى لغيره زوال النعمة، والمسلم واجب عليه أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، روى الإمام البخاري بسنده عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(١).

---

(١) سورة النساء الآية ٥٤.

(٢) سورة البقرة الآية ١٠٩.

(٣) سورة النساء الآية ٨٩.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٢٠.

(٥) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ، ج٤ ص١٩٣٨ رقم ٢٥٥٩.

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، ج ١ص١٢رقم١٣.

ومفسد لعمل الجوارح حيث تترجم الجوارح تلك المشاعر إلى غِيبَةٍ ونميمة وظلم وإيذاء، ومفسد للدين؛ لأنه غير راض بما قسم الله له ولغيره، أضف إلى ذلك ما يشعر به من غم وحزن، وأنه شبيه إبليس في سماته، وهو من الأمراض المشتركة بين أهل الكفر وأهل الإيمان، وذلك لما فُطِرَ عليه الإنسان من حب الدنيا، وللحسد عدة أسباب ذكرها الإمام الغزالي يقول "و في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جداً ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب: العداوة، والكبر، والتعجب، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة، وحُبُّ الرياسة، وخبث النفس، وبخلها "(١).

والحسد أضراره على الحاسد تكون في الدين والدنيا يقول الإمام الغزالي" اعْلَمْ أَنَّ الْحَسَدَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْعَظِيمَةِ لِلْقُلُوبِ والْحَسَدَ ضَرَرٌ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ وأَمَّا كَوْنُهُ ضَرَرًا عَلَيْكَ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَنَّكَ بِالْحَسَدِ سَخِطْتَ قَضَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَكَرِهْتَ نِعْمَتَهُ الَّتِي قَسَّمَهَا بَيْنَ عِبَادِهِ وَعَدْلَهُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي مُلْكِهِ بِخَفِيِّ حِكْمَتِهِ فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حَدَقَةِ التَّوْحِيدِ وَقَذًى فِي عَيْنِ الْإِيمَانِ وَنَاهِيكَ بِهِمَا جِنَايَةً عَلَى الدِّينِ وَقَدِ انْضَافَ إِلَى ذلك أنك فارقت أولياء الله وَأَنْبِيَاءَهُ فِي حُبِّهِمُ الْخَيْرَ لِعِبَادِهِ تَعَالَى وَشَارَكْتَ إبليس وسائر الكفار فِي مَحَبَّتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْبَلَايَا وَزَوَالَ النِّعَمِ وَهَذِهِ خَبَائِثُ فِي الْقَلْبِ تَأْكُلُ حَسَنَاتِ الْقَلْبِ كَمَا تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل والنهار وأما كونه ضرراً عليك فِي الدُّنْيَا فَهُوَ أَنَّكَ تَتَأَلَّمُ بِحَسَدِكَ فِي الدُّنْيَا أَوْ تَتَعَذَّبُ بِهِ وَلَا تَزَالُ فِي كَمَدٍ وَغَمٍّ بِكُلِّ نِعْمَةٍ تَرَاهَا فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نَزَلَ بِكَ مَا يَشْتَهِيهِ الْأَعْدَاءُ لَكَ وَتَشْتَهِيهِ لِأَعْدَائِكَ"(١).

---

(١) إحياء علوم الدين ج٣ص١٨٩

(١)إحياء علوم الدين ج٣ص ١٩٦بتصرف.

٧- الميل إلى المعصية :

أصحاب القلوب المريضة من سماتهم أنهم يميلون إلى المعصية، ويستجيبون إلى إتيان المعصية، لا يستعصوا على إبليس، ولا يجاهدون أهواءهم ،ضعاف القلوب والإرادة ،وهذا المرض يشمل المؤمنين والكافرين، وإن كان واردا في سياق الحديث عن أهل الإيمان إلا أن الميل إلى المعصية أمر يعترض الجميع بحكم بشريتنا، وتعرضنا جميعا لوساوس إبليس، ولكن البعض يجاهد شهواته وميوله أن تنحرف به عما شرع الله ،والبعض الآخر يضعف وينحرف ويقع فيما حرم الله ،وهذا المرض لا فرق فيه بين مؤمن وكافر، بل ما أصاب الكفار من أمراض القلوب بسبب ما اكتسبوا من المعاصي: **﴿كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ مَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[١] .

والميل إلى المعصية وكونها مرضاً ورد في قوله تعالى: **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾**[٢].

فالآية الكريمة تأمر نساء النبي ألا يتسم كلامهم بالخضوع الذي يطمع ذوي القلوب المريضة فيهن ،وأن يقلن قولا معروفا ،ليسدوا كل أبواب الطمع فيهن، وهذه الآية تبين العلاقة القوية بين السمع والقلب، فالقول الذي يتسم بالخضوع يجد له مدخلا على القلب المريض، فيضعف أمام شهوته، ويقع في المحظور مما حرمه الله، أما القلب الصحيح يقظ يجاهد نفسه، يذكر نفسه بعقاب الله ،ودواعي الخير عنده أقوى ،محارب لإبليس ووساوسه، لا تسيطر

(١) سورة المطففين الآية ١٤.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٢.

عليه شهواته ورغباته، ولعلم الله عز وجل أن قلوب العباد متفاوتة منها القوي والضعيف أمرنا بالأخذ بالأسباب التي تعين على مقاومة المعاصي ،وتسد بابها منذ البداية حتى لا تجد لها طريقا إلى الإنسان فيقع في المعصية، فلقد شرع الله العديد من التشريعات التي تقي القلب من المرض وتحفظه ومنها ما ورد في الآية السابقة من عدم الخضوع بالقول.

[فإن القلب الصحيح] ليس فيه شهوة لما حرم الله، فإن ذلك لا تكاد تُمِيلُه ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض. بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه [1]".

ولفظ الطمع في الآية الكريمة يدل على فساد صاحبه وانحرافه وتعديه للحدود التي شرعها الله، فيتعدى على ما ليس له فيه حق.

"والتعبير بالطمع للدلالة على أن أمنيته لا سبب لها في الحقيقة؛ لأن اللين في كلام النساء خُلُقٌ لهن لا تكلف فيه، وأريد من نساء النبي ﷺ التكلف للإتيان بهذه بل المرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع" [2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٦٦٤بتصرف

(٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)ج٣ص٢٤٣، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهر، عام النشر: «١٢٨٥

٨-الغيظ :

الغَيْظُ:" أشدّ الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه"(١).

والغيظ من الأمراض التي تصيب القلب وتشعره بالألم والغضب عند تعرض صاحبه للإيذاء والظلم ونقض العهد والطعن في الدين، قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (*) أَلا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (*) قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ(*) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (٢)، فالآية الكريمة تبين ما تعرض له بنو خزاعة من غيظ، بسبب إعانة قادة الكفر من قريش لبني كعب بالسلاح في قتالهم وهم حلفاء النبي ﷺ، فهزموهم وقتلوا منهم، فأمر الله المسلمين بقتال أئمة الكفر من قريش، لما قاموا به من اعتداء ونقض العهد وإخراج الرسول وابتدائهم بالقتل، ليعذب هؤلاء الكفار، وليصيبهم الخزي والذل، وليفرح المؤمنون بنصرهم، وليشف قلوب بني خزاعة مما أصابها من غيظ.

يقول الشيخ الشعراوي" فكأن هذا النصر يشفي الداء، الذي ملأ صدور أولئك المؤمنين، ويُذْهِبُ غيظ قلوبهم، أي: يخرج الغيظ والانفعال المحبوس في الصدور، فكأن قتال المؤمنين للكفار لا يحقق فقط العذاب والخزي للكفار والنصر للمؤمنين عليهم، ولكنه يعالج – أيضا – قلوب المؤمنين التي ملأها

(١) المفردات في غريب القرآن ص٦١٩

(٢) سورة التوبة الآيات ١٢– ١٥.

الألم والغيظ من سابق اعتداء الكفار عليهم ومحاولتهم إذلالهم وأخذ حقوقهم، وكأن انتقام الله عَزَّ وَجَلَّ فيه شفاء لصدور المؤمنين من كفار قريش الذين أعانوا أبناء بكر على أبناء خزاعة حلفاء سيدنا رسول الله ﷺ، فيعذبهم الله بأيديكم، وينصركم عليهم، ويخزيهم سبحانه وتعالى"[١].

وقوله تعالى :﴿**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ**﴾[٣]، هل العطف بينهما يقتضي التغاير في المعنى، أم إن الجملة الثانية مؤكدة للأولى، حيث إن شفاء الصدور يكون بذهاب الغيظ

يقول صاحب "التحرير والتنوير" وَعَطْفُ فِعْلِ ﴿**وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ**﴾ عَلَى فِعْلِ ﴿**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾، يُؤْذِنُ بِاخْتِلَافِ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَيَكْفِي فِي الِاخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا اخْتِلَافُ الْمَفْهُومَيْنِ وَالْحَالَيْنِ، فَيَكُونُ ذَهَابُ غَيْظِ الْقُلُوبِ مُسَاوِيًا لِشِفَاءِ الصُّدُورِ، فَيَحْصُلُ تَأْكِيدُ الْجُمْلَةِ الْأُولَى بِالْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ، مَعَ بَيَانِ مُتَعَلِّقِ الشِّفَاءِ وَيَجُوزُ أَنْ يكون الِاخْتِلَاف بالمصداق مَعَ اخْتِلَافِ الْمَفْهُومِ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِشِفَاءِ الصُّدُورِ مَا يَحْصُلُ مِنَ الْمَسَرَّةِ وَالِانْشِرَاحِ بِالنَّصْرِ، وَالْمُرَادُ بِذَهَابِ الْغَيْظِ اسْتِرَاحَتَهُمْ مِنْ تَعَبِ الْغَيْظِ، وَتَحَرُّقِ الْحِقْدِ. وَضَمِيرُ قُلُوبِهِمْ عَائِدٌ إِلَى قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ فَهُمْ مَوْعُودُونَ بِالْأَمْرَيْنِ: شِفَاءُ صُدُورِهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَذَهَابُ غَيْظِ قُلُوبِهِمْ عَلَى نَكْثِ الَّذِينَ نَكَثُوا عَهْدَهُمْ.[٤]"

---

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر ج٨ ص٤٩٢٨ :٤٩٢٧

(٢) سورة التوبة الآية ١٤.

(٣) سورة التوبة الآية ١٥.

(٤)«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ج١٠ ص١٣٥ : ١٣٦ .

فالغيظ يصاب به المؤمن كما ورد في الآية السابقة، وفي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(١)، فالآية الأولى توضح ما أصاب المسلمين من ألم بسبب إيذاء غيرهم لهم، وفي الآية الثانية بيانٌ لما يجب عليهم من كظم الغيظ .

ويصاب به الكافر أيضا، قال تعالى: ﴿**مَا كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ...**﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَكانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**﴾(٣)، وقال تعالى :﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ...**﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (*) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي**

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٤.
(٢) سورة التوبة الآية ١٢٠.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٢٥.
(٤) سورة الفتح الآية ٢٩.

الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (*) إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (*) وَإِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: **﴿ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ وَإِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ ﴾**[2]، فهذا المرض أصيل في قلوب الكافرين، يصيبهم برؤية المسلمين متحدين ومجتمعين، وبانتصار المسلمين عليهم في مواضع القتال، فهو بالنسبة للكفار مبني على كراهيتهم للحق، وفساد قلوبهم، وأما بالنسبة للمؤمنين فهو شعور ناشئ بسبب ما تعرضوا له من إيذاء، ويشفي الله عز وجل قلوبهم منه، أما بالنسبة إلى الكافرين فيظل كائنا في قلوبهم مستقرا باقيا ببقاء سببه من الكفر والكراهية للمؤمنين.

* * * * * *

(١) سورة الشعراء الآيات ٥٢– ٥٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٩.

الفصل الثاني
فساد القلب أسباب وعلاجه
المبحث الأول
أسباب فساد القلب

لأمراض القلب عدة أسباب، والبحث عنها في غاية الأهمية؛ وذلك حتى يتأتى للعبد تفادي السبب، فيسلم قلبه من علله، وفيما يلي أهم هذه الأسباب:

١-الكفر:

كان اختيار الكفار الكفر تلك العقيدة الباطلة أثرها على القلب بإحلال الفساد فيه، والأمراض التي تصيبه بالوهن، فهو سبب رئيس لأمراض قلوب أهل الكفر؛ لأنه إذا كان لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وما فيه من بعث وثواب وعقاب وآثر هوى النفس وإن كان فيها هلاكه لا يعبأ بفساد قلبه، ولا يسعى إلى إصلاحه، يغشى قلبه ظلمة الكفر، فلا يرى نور الحق ولا يبصره، ولا يسمع صوت الحق، فتتعطل حواسه متأثرة بفساد القلب، فالكفر بمثابة البذرة التي إن غُرِسَتْ في القلب لا تنبت إلا كل ما هو خبيث من قول وعمل، قال تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ** ﴾[(١)]، فلما آثر الكافرون الكفر عقيدة لهم كان ذلك سببا للختم على القلوب والطبع والإباء والصَغْو والإشمئزاز والريبة وغيرها من الأمراض، والحُجُب التي حالت دون سلامته، قال تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ**

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٦.

اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[١]، قال تعالى: **﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾**[٢]، وقوله تعالى: **﴿وَلِتَصْغى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾**[٣]، وقوله تعالى: **﴿وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾**[٤]،"(إن الكفر مظلم إذا أتى به إنسان يستر على نور القلب وعلى نور كل جارحة منه، والإيمان منير ينير القلب، وينير كل جارحة منه وعضو،: إن الإنسان إنما يبصر بنورين ظاهرين: بنور نفسه، وبنور ذلك الشيء، فإذا ذهب أحدهما، ذهب الانتفاع بالآخر، والإيمان لما ذكرنا: أنه منير، وفي القلب نور، فإذا اجتمع النوران معًا – فعند ذلك انتفع به، فجعل يفقه ويعقل الشيء بنور القلب وبنور الإيمان." [٥].

٢- إتِّبَاعُ الهوى:

قال تعالى: **﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾**[١]، اتباع هوى النفس يصيب القلب بالأمراض التي تحيد به عن

---

(١) سورة النساء الآية ١٥٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٩٣.

(٣) سورة الأنعام الآية ١١٣.

(٤) سورة الزمر الآية ٤٥.

(٥) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)ج٧ ص١٨٨ ، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥

(١) سورة الجاثية الآية ٢٣.

الحق، حيث إن النفس مهما كان علمها إلا أنها عاجزة عن معرفة مواضع الضرر وما ينفعها، وخاصة إذا كان البشر مختلفين في إدراكهم وعقولهم فلابد لهم من هادٍ يرشدهم لما فيه صلاحهم، مجتمعين على كلمة واحدة غير متفرقين، لا تفرقهم الأهواء، فمن ثم كان الدين الإسلامي والرسالة المحمدية لهداية البشر، فلو اتبع صاحب القلب المريض رسالة الإسلام دون هواه لما فسد قلبه وابتلي بالأمراض التي تهلكه، ولكن أصحاب القلوب المريضة اتبعوا أهواءهم حتى صارت بمثابة الإله الذي يعبد، فاتبعوها ولم يحيدوا عنها،

يقول صاحب تفسير المنار "إِنَّ مِنْ سُنَنِهِ تَعَالَى فِي الْبَشَرِ أَنَّ مَنْ يَتَّبِعُ هَوَاهُ فِي أَعْمَالِهِ، وَيَسْتَمِرُّ عَلَى ذَلِكَ وَيُدْمِنُهُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ، تَضْعُفُ إِرَادَتُهُ فِي هَوَاهُ حَتَّى تَذُوبَ وَتَفْنَى فِيهِ، فَلَا تَعُودُ تُؤَثِّرُ فِيهِ الْمَوَاعِظُ الْقَوْلِيَّةُ، وَلَا الْعِبَرُ الْمُبَصِّرَةُ وَلَا الْمَعْقُولَةُ، وَهَذِهِ الْحَالَةُ يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْخَتْمِ وَالرَّيْنِ وَالطَّبْعِ عَلَى الْقَلْبِ، وَالصَّمَمِ وَالْعَمَى وَالْبَكَمِ "[1].

قال تعالى :﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[2]، فاتباع الهوى يؤدي بالإنسان إلى الضلال، وحرمانه من الهداية، ومن ثم فلا يخالط نور الإيمان قلبه، ويظل قلبه موطنا للأمراض التي تهلكه وتشقيه، وقال تعالى:﴿**وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]، " وَاتَّبَعَ هَوَاهُ أي

(١) تفسير المنارج٩ص٥٢٩.

(٢) سورة القصص الآية ٥٠.

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٦.

وأعرض لمتابعة هواه، إن الله تعالى قسم الأعضاء في الهوى لكل عضو حظاً منه، فإذا مال عضو من أعضائه إلى الهوى يرجع ضرره إلى القلب. [1]"

فالمتبع لهوى النفس يستوي لديه الوعظ وعدمه، ولا يقبل النصح ،لما آثر من اتباع الهوى ،ويسّر بذلك للشيطان الطريق إلى قلبه ،فيستحوذ عليه فيفسد قلبه بشتى الأمراض.

٣- الإعراض عن الحق:

إن الله عز وجل أرسل رسوله وأنزل القرآن لهداية البشرية، لما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة ،فإذا أعرضوا بعد قيام الأدلة والبراهين على صدق الرسول أعرض الله عنهم، وأصاب قلوبهم بمختلف الأمراض، وذلك عقوبة لإعراضهم، فإن الإنسان إذا انصرف عن نور الإيمان بإرادته فقد آثر لنفسه الظلام، فيزيده الله صرفا عن الحق وإعراضا ،قال تعالى: **﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**[2].

يقول ابن كثير" أَيْ: فَلَمَّا عَدَلُوا عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ، أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْهُدَى، وَأَسْكَنَهَا الشَّكَّ وَالْحَيْرَةَ وَالْخُذْلَانَ"[3].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: **﴿ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون﴾**[4]، فالاستجابة لدعوة الإسلام فيه حياة للقلب وفي الإعراض إصابته بالأمراض كالزيغ وصرف القلب عن الهداية ولهو القلب وقسوته، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**[1]، وقال

---

(١) تفسير التستري، ص٦٩ .

(٢) سورة الصف الآية ٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ١٠٩.

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٧.

(١) سورة الأنفال الآية ٢٤.

تعالى: ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ...**﴾[1]، وغير ذلك من الأمراض التي تميت القلب، وتحرم الإنسان من الشعور والإدراك والعلم، فيشبه الأنعام بل أضل منها قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[2].

٤- ارتكاب المعاصي:

قال تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[3]، المعاصي التي يكتسبها العبد تترك أثرها على القلب من وهن وضعف عن القيام بواجباته من التفكر والتدبر والإقبال على الطاعة، وكلما تمادى في المعاصي أحاطت بقلبه الأمراض، وضل الطريق المستقيم، وذلك لما بين القلب والجوارح من صلة قوية، فالقلب المريض يؤثر على الجوارح فتصبح معطلة، لا يستفيد صاحبها منها، بل تكون وبالا عليه، حيث لا يهتدي بها إلى الخير، وكذلك الجوارح عندما ترتكب المعاصي ينفذ هذا إلى القلب فَيسْوَّد منها، ويصبح أرضا خصبة لتوالي الأمراض عليه، روى الإمام مسلم بسنده عن حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: : "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَاءِ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ

(١) سورة البقرة الآية ٧٢- ٧٤.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

(٣) سورة المطففين الآية ١٤.

مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا"(١).

ومن أخطر أعمال الحواس التي تنفذ للقلب النظرة وآفات اللسان فكلاهما من أشد المعاصي على القلب قال تعالى:﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ﴾(٢)، وفي اللسان روى الترمذي بسنده عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ قال رسول الله ﷺ: "وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ(٣).

فإذا أطلق الفرد العنان للسانه وقع في المحظور من غِيبةٍ ونميمة ،ومما يزرع في القلب الحقد والحسد والغل في القلب، وإذا اطلق العنان لنظره تجاه المحرمات ملأ قلبه حب الشهوات والميل إلى المعصية، فمن ثم يمرض ويضعف عن الالتزام بالطاعة، ولا تقوى إرادته على مقاومة وساوس الشيطان وهوى النفس.

يقول بن القيم "الْمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ تُعْمِي بَصِيرَةَ الْقَلْبِ فَلَا يُدْرِكُ الْحَقَّ كَمَا يَنْبَغِي، وَتَضْعُفُ قُوَّتُهُ وَعَزِيمَتُهُ فَلَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ، بَلْ قَدْ يَتَوَارَدُ عَلَى الْقَلْبِ حَتَّى يَنْعَكِسَ إِدْرَاكُهُ كَمَا يَنْعَكِسُ سَيْرُهُ، فَيُدْرِكُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَالْحَقَّ بَاطِلًا، وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، فَيَنْتَكِسُ فِي سَيْرِهِ وَيَرْجِعُ عَنْ سَفَرِهِ إِلَى اللَّهِ

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامِ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، ج ١ص١٢٨ رقم ١٤٤.

(٢) سورة النور الآية ٣٠.

(٣) سنن الترمذي: أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ- بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ. ج٤ ص٣٠٨ رقم ٢٦١٦ ، هذا حديث حسن صحيح.

وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، إِلَى سَفَرِهِ إِلَى مُسْتَقَرِّ النُّفُوسِ الْمُبْطِلَةِ الَّتِي رَضِيَتْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاطْمَأَنَّتْ بِهَا، وَغَفَلَتْ عَنِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَتَرَكَتْ الِاسْتِعْدَادَ لِلِقَائِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي عُقُوبَةِ الذُّنُوبِ إِلَّا هَذِهِ وَحْدَهَا لَكَانَتْ دَاعِيَةً إِلَى تَرْكِهَا وَالْبُعْدِ مِنْهَا. (١)"

وقال المحاسبي" إن الذُّنُوب تورث الْغَفْلَة والغفلة تورث الْقَسْوَة وَالْقَسْوَة تورث الْبعد من الله والبعد من الله يُورث النَّار وَإِنَّمَا يتفكر فِي هَذِه الْأَحْيَاء وَأما الْأَمْوَات فقد أماتوا أنفسهم بحب الدُّنْيَا"(٢).

٥- الغفلة عن التدبر في آيات الله

قال تعالى :﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾(٣)، الغفلة عن التدبر في آيات الله من أسباب مرض القلب تصيب القلب بالعمى، لا ينفذ إليه نور الهداية، فإن الفرد يرى آيات الله في الكون وفى خلقه لكنها لا تأخذ محلها في القلب من الفكر والتدبر، فلا ينتفع بها فيتخبط في طريقه، فهو قلب مغلق بأقفال حالت دون فهمه وهدايته، قال تعالى : ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها**﴾(٤).

"فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص٩٤

(٢) رسالة المسترشدين، المؤلف: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٤٣هـ) ص١٥٤،١٥٥، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – سوريا، الطبعة: الثانية، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

(٣) سورة الحج الآية ٤٦.

(٤) سورة محمد الآية٢٤.

عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه.

فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً. وهذا أعظم عقوبات القلب "[1] .

٦-إيثار الدنيا على الآخرة:

إذا تملك حب الدنيا من قلب الإنسان وإيثارها على الآخرة ترتب على ذلك الغفلة عن الله، وعن طاعته وعن ذكره، وإذا ضعفت صلته بالله امتلأ قلبه بالحسد والغل والرياء وغيرها من الأمراض، فوهن القلب حيث كانت الدنيا محل تفكيره يسعى لتلبية رغباته فلا يظل للآخرة في قلبه موضع، وينحصر فكره وعمله في الدنيا ومتاعها، فيضعف قلبه أمام شهواته، وتفسد نيته في عمله، وابتعد بقلبه عن الله، وفسد مقصده، وضل طريقه ونسي الهدف من خلقه وهو عبادة الله عز جل وأن يتزود في الدنيا بخير الزاد للآخرة وأن الدنيا طريقٌ للآخرة، فعلى قدر إيثار الإنسان للدنيا يكون مرض قلبه وشقاؤه، فالرياء من الأمراض المترتبة على طلب المنزلة في الدنيا وفي قلوب الناس، وذلك لما سيطر على المرائي من حب الدنيا على الآخرة، حتى أفسد قصده وتوجهه، وأفسد عمله، وكذلك النفاق والغفلة بسبب إيثار الدنيا على الآخرة، فالمنافق ما منعه من إظهار الكفر إلا الرغبة في أن يكون مع المسلمين إذا أصابوا خيرا، ويأمن على نفسه من القتل والأسر حين أظهر الله المسلمين على الكافرين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ قالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وكذلك الغفلة عن التفكر في آلاء الله ونعمه والغفلة عن الذكر ما كانت إلا

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص٤٠

(١) سورة النساء الآية ١٤١.

بإيثار الدنيا على الآخرة، قال تعالى:﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا (*) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقى**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذا وَما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ**﴾[٢]، وكذلك الغل والحسد والغيظ ما يصاب بهم الإنسان إلا لما فضّل الله به بعض عباده على بعض وبما رفع به بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى مَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ..**﴾ [٣]، وقال تعالى:﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَكانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**﴾[٥].

يقول بن القيم :(شغلوا قلوبهم بالدنيا ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرف الفوائد إذا غُذِّيَ القلب بالتذكر وسُقِيَ بالتفكر ونُقِّيَ من الدَّغَل رأى العجائب وأُلهِمَ الحكمة .. إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد) [١].

---

(١) سورة الأعلى الآيات ١٦- ١٧.

(٢) سورة الأعراف الآية ٥١.

(٣) سورة النساء الآية ٥٤.

(٤) سورة الزخرف الآية ٣٢.

(٥) سورة الأحزاب الآية ٢٥.

(١) الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ، ص١٩٨)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

٧- الصحبة السيئة:

قال تعالى:﴿**فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ (١)، قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾(٢)، الصحبة لها تأثير على الفرد قولا وعملا فيقتدي كل خليل بخليله، فإن كانت المخالطة لأهل الفسق والمعاصي استهان الإنسان بالمعصية، وتمكن من قلبه هذا الشعور، ومرض قلبه، وضعف أمام شهواته، وتأثر بما لصاحبه من فساد القلب، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّﷺ قَالَ: " مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"(٣).

قال تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَالْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً**﴾(١)، فهذه الآية تفيد تحذير المسلمين من مجالسة أهل الباطل؛ لأن مجالستهم تترك أثرها على الفرد

---

(١) سورة النجم الآية ٢٩.

(٢) سورة الكهف الآية ٢٨.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الذبائح والصيد، بَابُ المِسْكِ، ج٧ ص٩٦ رقم٥٥٣٤ ، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ،بَابُ اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ، وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السُّوءِ، ج٤ص٢٠٢٦ رقم ٢٦٢٨.

(١) سورة النساء الآية ١٤٠.

،فإن المخالطة لأهل المعصية والغفلة عن الله تصيب القلب بالغفلة عن الله والقسوة والميل إلى المعصية وضعف الوازع الديني في القلب، واستحواذ الشيطان عليه، وفتنته، وكل مجالسة لأهل الطاعة تنير القلب، وتشرح الصدر، حيث كان محورها ومضمونها طاعة الله ورسوله والتفكر فيه وفي آلائه وآياته.

يقول الإمام الغزالي" الطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالِاقْتِدَاءِ بَلِ الطَّبْعُ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي صَاحِبُهُ فَمُجَالَسَةُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا تُحَرِّكُ الْحِرْصَ وَمُجَالَسَةُ الزَّاهِدِ تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا "(١)

وخلاصة القول أن القلب كالحصن، إن لم يحفظ الإنسان منافذه من كل عدو له كالشيطان وهوى النفس أفسده وأهلكه، وأصبح أرضاً خصبه للآفات تحيط به من كل جانب، فيفسد ولا يرجى منه خيرٌ.

* * * * * *

(١) إحياء علوم الدين ج٣ص١٧٣

المبحث الثاني
علاج أمراض القلوب

١- الإيمان باللّه:

قال تعالى:﴿**مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(١)، الإيمان بالله هو السبيل لعلاج أمراض القلوب، فلا شفاء للقلب من علله إلا بإقراره بوحدانية الله وأنه لا خالق ولا معبود سواه، فإن استقر في قلب الإنسان الإيمان بالله رأى قدرة الله فيما حوله، وتفكر وتأمل في آيات الله في الكون، وامتثل لأوامره ،ودخل نور الإيمان قلبه، فأنار بصره وقلبه وأحيا قلبه بنور الحق، وسلم من ظلمات الجهل والكفر، قال تعالى:﴿**أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها...**﴾ (٢)، فلا صلاح للقلب إلا بعبادة الله عز وجل، ويفسد بعبادة غيره، فالإيمان بالله هو سر حياة القلب وسعادته وسكينته، وعبادة غيره هي سر شقائه في الدنيا والآخرة، قال تعالى : ﴿**فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ**﴾(٣)، وقال تعالى :﴿**لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا**﴾(٤). ومتى آمن الإنسان بالله وامتثل لأوامره يَسَّرَ الله له شفاء ما في صدره، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ**

---

(١) سورة التغابن الآية ١١.

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٢.

(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٣.

(٤) سورة الإسراء الآية ٢٢.

مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(١)، ففي الامتثال لأوامر الله عقيدة وقولا وعملا شفاءٌ للقلوب من عللها، وهدايةٌ ورحمة للإنسان من الشقاء، وقال تعالى: **﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾**(٢)، فعبادة الله والإيمان به هي الهدف من خلق الإنس والجن ،فإن امتثل الفرد لما خُلِقَ لإجله نجا وإلا فلا، قال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (*) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(*) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾**(٣).

٢- القرآن الكريم:

أنزل الله القرآن رحمة للعالمين، فيه طريق الهداية، وهو الباعث على محبة الله ورسوله والطاعة والالتزام واللجوء إلى الله، وهو الزاجر عن كل ما يفسد القلب ويهلكه ويشقيه، فلقد شرع الله فيه من التشريعات ما يصون القلب من كل داء، ويسد منافذ أعدائه من وساوس الشيطان واتباع الهوى وإيثار الدنيا على الآخرة، ورَغَّبَ العباد في تطهير قلوبهم والحرص على سلامتها ،قال تعالى: **﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (*) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كانَ مِنَ الضَّالِّينَ (*) وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (*) يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ (*) إِلاّ**

(١) سورة يونس الآيات ٥٧– ٥٨.

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٤.

(٣) سورة الذاريات الآيات ٥٦– ٥٨.

مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[١]، وبين لنا خطورة أمراض القلب على الإنسان في الدنيا والآخرة، ومدى تأثيرها عليه وعلى جوارحه وأعماله، ووضَّحَ لنا طريق النجاة، وهو الإيمان بالله وتدبر القرآن والذكر وكل ما من شأنه أن يوقظ القلب من غفلته، ويحييه من موته ويزيل عنه مرضه، وفيه من المواعظ ما يجذب القلوب إليه، فتستجيب وتخشع له، فإن استجاب الفرد لما جاء به القرآن الكريم انشرح صدره، وشفي قلبه من الأدواء المهلكة، وأبصر نور الهداية فلا يحيد عنها، وفي ذلك رحمة له، قال تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاّ خَساراً ﴾**[٢]، وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾** [٣].

"أَيْ شِفَاءُ جَمِيعِ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ أَدْوَاءِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَسَائِرِ الْأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يَشْعُرُ صَاحِبُهَا ذُو الضَّمِيرِ الْحَيِّ بِضِيقِ الصَّدْرِ، مِنْ شَكٍّ فِي الْإِيمَانِ، وَمُخَالَفَةٍ لِلْوِجْدَانِ، وَإِضْمَارٍ لِلْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ، وَحُبٍّ لِلْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَالشَّرِّ، وَبُغْضٍ لِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْخَيْرِ"[٤].

وحتى يتأتى للعبد أن ينير القرآن لبه ويهديه لابد من تدبره والتفكر في آياته والإصغاء إليه وحضور القلب حتى يصل نور القرآن إلى القلب، فالغفلة عن تدبره بمثابة حاجز بين العبد وبين نور القرآن، فإن الهدف من إنزال القرآن

---

(١) سورة الشعراء الآيات ٨٥- ٨٩.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٢.

(٣) سورة يونس الآية ٥٧.

(٤)(تفسير المنار) ج١١ص٣٣٠

هو تدبر آياته، والتفكر فيها ليصل إلى القلب هداياته ونوره، وتخالط حلاوة الإيمان قلبه، فيزداد إقبالا على كتابه، وتترسخ معانيه فيه فيبقى مستنيرا به متحصنا به، قال تعالى:﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾(١). قال تعالى :﴿**إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾(٢).

فقراءة القرآن بتدبر تنير القلب، وكذلك بسماعه تصل هدايته إلى القلب، فكلاهما عاملان مؤثران في القلب يدلان على الارتباط الوثيق بين القلب وجوارح الإنسان، قال تعالى: ﴿**وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾(٣).

ومما يدل على قوة تأثيره في القلوب قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤).

" فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيا. وإلى الإيمان وحقائقه مناديا، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيا، وإلى طريق الرشاد هاديا. لقد اسمع منادي الإيمان لو صادف آذانا واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبا خالية. ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها. وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها. وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغي وشبهات الباطل، فلم تصغ بعد

(١) سورة ص الآية ٢٩.

(٢) سورة ق آية ٣٧.

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠٤.

(٤) سورة الحشر الآية ٢١.

إلى الملام. ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة، وأسر الهوى والشهوة. وما لجرح بميت إيلام" (١).

٣- الدعاء:

أمراض القلوب ضررها وشدتها على المسلم أشد من أمراض البدن، وتحتاج إلى جهد ومشقة للشفاء منها، فمن ثم فالعبد في أشد الاحتياج إلى الله ليعينه على شفاء قلبه، وعلى جهاده لنفسه، فالدعاء من العبادات التي تعين العبد على ما يصيبه من ضرر وشدة وضيق، فإذا وجد المسلم من نفسه مرضا فليلجأ إلى الله بالدعاء والتضرع إليه بصدق وإخلاص وإقبال ويقين، ولقد كان رسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه دائما بالتثبيت على دينه، روى بن ماجه بسنده عن (النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ الْكِلَابِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ"، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ"، قَالَ: "وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ، يَرْفَعُ أَقْوَامًا، وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"(٢):

---

(١) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ج١ص١٢٧:١٣١ انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج١ص٤٤٩.

(٢) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، المؤلف: ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) –أبواب السنة، بَابٌ فِيمَا أَنْكَرَتْ الْجَهْمِيَّةُ ، ج١ص١٣٨، رقم١٩٩، إسناده صحيح، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره– عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، انظر مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، كتاب أبواب السنة بَاب فِيمَا أنْكرت الْجَهْمِية، ج١ص٢٧ رقم ٦٩، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.

وهذا هو شأن المسلمين، قال تعالى:﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾(١)، فالمسلمون يدعون الله بالثبات وعدم الزيغ بعد ما أنعم الله عليهم باستقامة قلوبهم، فتلك نعمة كبرى أدركوا قيمتها ويخشون زوالها، فمن ثم دعوا إلى الله ليتم رحمته بهم بتثبيتهم على الإيمان، فاستقامة قلوبهم كان بفضل الله، والهدف من الدعاء بالتثبيت النجاة في الآخرة، وذلك لما يعلم المسلمون من أن نجاتهم في الآخرة مرتبطة باستقامة قلوبهم في الدنيا، ومن استقامة قلوبهم ألا يكون فيها غلٌّ للذين آمنوا، فمن ثم دعوا الله بذلك، قال تعالى :﴿**وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ**﴾(٢)، فإن الله قريب من عباده يستجيب دعاءهم عندما يدعونه ، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾(٣).

"وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وإعانته فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به والخذلان في مواضعه اللائقة به هو العليم الحكيم وما أُتِيَ مَنْ أُتِيَ إلا من قِبَلِ إضاعة الشكر وإهمال

(١) سورة آل عمران الآية ٨.

(٢) سورة الحشر الآية ١٠.

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٦.

الافتقار والدعاء ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء وملاك ذلك الصبر"[١].

٤- الذكر:

قال تعالى:﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً**﴾[٢]، وقال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٣]، الذكر يحيي القلوب بدوام الصلة بين العبد وربه، فيستنير القلب بذكر الله، ويقوى في جهاد نفسه ورغباتها، حيث يظل دائما متذكرا لله، وأن الدنيا ونعيمها زائل فلا يجهد قلبه بالفكر فيها، ويحيا حياة طيبة، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ: مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[٤].

والذكر يُكسبُ القلب قوة أمام عدوه، فلا يضعف أمام محاولاته لإفساد قلبه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[٥]، فالغافل عن ذكر الله هو قرين للشيطان، متبع له فيما يوسوس له، حيث ضعف قلبه بالغفلة عن الذكر، فيتمكن الشيطان منه بيسر، قال

---

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية ص ٩٧.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤١.

(٣) سورة المنافقون الآية ٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ج٨ ص٨٦ رقم ٦٤٠٧

(٥) سورة الحجر الآية ٤٢.

تعالى: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾(١)، وبالذكر تطمئن القلوب وتخشع، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(٢)، وهذا يفيد أن الكلم الطيب ينعكس مردوده على القلب، فأسماء الله وصفاته عندما يذكرها العبد تترك أثرا طيبا في قلبه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ الَّذِي مِنْ أُعْطِيَهُ اتَّصَلَ وَمَنْ مُنِعَهُ عُزِلَ، وَهُوَ قُوتُ قُلُوبِ الْقَوْمِ الَّذِي مَتَى فَارَقَهَا صَارَتِ الْأَجْسَادُ لَهَا قُبُورًا، وَعِمَارَةُ دِيَارِهِمُ الَّتِي إِذَا تَعَطَّلَتْ عَنْهُ صَارَتْ بُورًا، وَهُوَ سِلَاحُهُمُ الَّذِي يُقَاتِلُونَ بِهِ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ، وَمَاؤُهُمُ الَّذِي يُطْفِئُونَ بِهِ الْتِهَابَ الطَّرِيقِ وَدَوَاءُ أَسْقَامِهِمُ الَّذِي مَتَى فَارَقَهُمُ انْتَكَسَتْ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ وَالْعَلَاقَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ. وَهُوَ جَلَاءُ الْقُلُوبِ وَصِقَالُهَا وَدَوَاؤُهَا إِذَا غَشِيَهَا اعْتِلَالُهَا، إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوِينَا بِذِكْرِكُمُ ... وَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ"(٣).

٥- الالتزام بشرع الله

الالتزام بالشريعة الإسلامية فيما جاءت به عقيدة وقولا وعملا له أطيب الأثر على قلب المسلم ،فإنها تعين على شفاء القلب من سقمه، كما أن المعاصي توهن القلب كذلك العمل الصالح والكلم الطيب وكل سلوك يسلكه المسلم في حياته يرضي الله ورسوله ﷺ يؤثر على القلب إيجابا، فيقوي القلب، وتضعف أهواء النفس وإيثارها للدنيا، وتنير له طريقه، ويزداد محبة للطاعة،

(١) سورة الزخرف الآية ٣٦.

(٢) سورة الرعد الآية ٢٨.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج٢ص٣٩٥.

ويرضى الله عنه، فيرى أثر ذلك في قلبه، قَالَ تَعَالَى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾(١)، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ **إِن أَحْسَنْتُم أَحْسَنْتُم لأنفسكم وَإِن أسأتم فلها**﴾(٢)، فباستجابة العبد لله ولرسوله يحيا قلبه، وفي حياة القلب سلامته من الأدواء، قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾(٣)، فالإنسان يتوجه بعمله إلى الله عز وجل راغبا في رضاه، قال تعالى:﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾(٤)، وبالعمل الصالح والأخلاق الحسنة والكلم الطيب تقوى علاقته بإخوانه المسلمين، ويتمكن من قلب العبد حب الخير لإخوانه، وإعانتهم على تحصيله، فيألف هذا مع المداومة، فمن ثم تزول العداوة والبغضاء وإيثار النفس التي تثير في القلب الحسد والغل للآخرين.

وأيضا بالالتزام بالشريعة الإسلامية تغلق المنافذ والطرق المؤدية إلى فساد القلب، ولذلك أمر الله بغض البصر لحفظ المسلم من الميل إلى المعصية، قال تعالى:﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ**﴾(٥)، وأمر نساء النبي ﷺ بعدم الخضوع في القول حتى لا يطمع فيهن أصحاب القلوب المريضة ،قال تعالى : ﴿**يَا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ**

(١) سورة فصلت الآية ٤٦.
(٢) سورة الإسراء الآية ٧.
(٣) سورة الأنفال الآية ٢٤.
(٤) سورة فاطر الآية ١٠.
(٥) سورة النور الآية ٣٠.

الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[١]، وهذا يبين تأثير العمل على القلب، وقوة الارتباط بينهما.

يقول الإمام الغزالي: "الْأَخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ يُمْكِنُ اكْتِسَابُهَا بِالرِّيَاضَةِ وَهِيَ تَكَلُّفُ الْأَفْعَالِ الصَّادِرَةِ عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء وَهَذَا مِنْ عَجِيبِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ أعني النفس والبدن فإن كل صِفَةٍ تَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ يَفِيضُ أَثَرُهَا عَلَى الْجَوَارِحِ حَتَّى لَا تَتَحَرَّكَ إِلَّا عَلَى وَفْقِهَا لَا مَحَالَةَ وَكُلُّ فِعْلٍ يَجْرِي عَلَى الْجَوَارِحِ فَإِنَّهُ قَدْ يَرْتَفِعُ مِنْهُ أَثَرٌ إِلَى الْقَلْبِ والأمر فيه دور ويعرف"[٢].

"وَالْعَمَل لَهُ أثر فِي الْقلب من نفع وضر وَصَلَاح قبل أَثَره فِي الْخَارِج فصلاحها عدل لَهَا وفسادها ظلم لَهَا ،قَالَ بعض السّلف إِن للحسنة لنورا فِي الْقلب، وَقُوَّةً فِي الْبدن، وضياءً فِي الْوَجْه، وسَعَةً فِي الرزق، ومحبةً فِي قُلُوب الْخلق، وَإِن للسيئة لظلمةً، فِي الْقلب وسواداً فِي الْوَجْه، وَوهْناً فِي الْبدن، ونقصا فِي الرزق، وبغضا فِي قُلُوب الْخلق ،فصِحَة الْقلب وصلاحه فِي الْعدْل ومرضه من الزيغ وَالظُّلم والانحراف"[٣].

٦- الصحبة الصالحة:

أمر الله عز وجل المسلمين بالالتزام بصحبة الصالحين المتقين، وحذر من صحبة الغافلين حيث يمثلون خطرا على المسلم، إذ لا يعينون على طاعة ولا يُذَكِّرون بالآخرة، قال تعالى: **﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾**[٤]، قال الله عزّ وجلّ: **﴿واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنابَ إِلَيَّ﴾** [٥]، **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ**

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٢.

(٢) إحياء علوم الدين ج٣ص٤٥

(٣) أمراض القلب وشفاؤها ص ٥ بتصرف.

(٤) سورة الزخرف الآية ٦٧

(٥) سورة لقمان الآية ١٥.

عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا...﴾[1]، فهذه الآيات تفيد وجوب الإقبال على صحبة الذاكرين المخلصين المتقين المنيبين لله، وذلك لما له من أثر طيب على قلوب المؤمنين ،فكلما كان الصاحب مطيعا لله سليم القلب محبا لإخوانه من المسلمين لا يضمر في قلبه غلا لأحد ولا حسدا راضيا بما قسمه الله له حافظا للسانه من غِيبة إخوانه كلما اقتدى به رفيقه وخليله، وأعانه على طاعة الله والتقرب إليه بالعمل الصالح، فمن ثم يفتح الله أبواب رحمته على المقبلين عليه ،فتنشرح صدورهم، وتسلم قلوبهم من عللها، ويعينهم الله على جهاد النفس والهوى فيقوى القلب، وذلك من أثر الصحبة الصالحة على صاحبها، فإنها توقظ قلوبا من غفلتها، وتحذرها من عصيان الله عز وجل، وتذكره بالله وبلقائه، فالصاحب لصاحبه كالمرآة يبصره بعيوبه، ويرشده إلى علاجها، ويحثه على ذلك، "وإياك أنْ تصحب من الناس خمسة: المبتدع، والفاسق، والجاهل، والحريص على الدنيا، والكثير الغيبة للناس، فإن هؤلاء مفسدة للقلوب مذهبة للأحوال، مضرة في الحال والمآل"[2].

٧- التوبة :

التوبة تطهر القلوب من المعاصي التي كانت سببا في فساده وسقمه، فالمسلم يجب عليه أن يحرص على التوبة إلى الله مما صدر من ذنب ليعيد

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٨.

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي ج٢ص٣٩١ ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥م.

انظر: بداية الهداية، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ ص٦٦.) تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

للقلب سلامته وقوته، قال تعالى :﴿**إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما**﴾[١]، فالميل والانحراف الذي يحدث للقلب بسبب المعصية يزول بزوال سببه وذلك بالتوبة من المعاصي، وأيضا اللجوء إلى الله في التوبة والتذلل لله والخضوع بين يديه أملا في في المغفرة يقوي القلب في معالجة مرضه ؛لأنه يلجأ للقوي القادر على إعانته، فيتقوى به على إزالة ما في قلبه من أسباب الضعف، والتوبة تحيي القلوب لتجدد صلتها بالحي الذي الذي لا يموت، فتلك الصلة بين العبد وربه هي سبب حياة القلوب، وبتوبته إلى الله أصلح ما حل به من فساد، روى الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ« والمراد هنا بالغين ما يتغشى القلب قال القاضي قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه فإذا افتر عنه أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه[٢].

يقول بن القيم "وَمِنْ مُوجِبَاتِ التَّوْبَةِ الصَّحِيحَةِ أَيْضًا: كَسْرَةٌ خَاصَّةٌ تَحْصُلُ لِلْقَلْبِ لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ، وَلَا تَكُونُ لِغَيْرِ الْمُذْنِبِ، قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَأَلْقَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ طَرِيحًا ذَلِيلًا خَاشِعًا، وَعَلِمَ أَنَّ حَيَاتَهُ وَسَعَادَتَهُ وَفَلَاحَهُ وَنَجَاحَهُ فِي رِضَاهُ عَنْهُ، فمَا أَنْفَعَهَا لِلْعَبْدِ وَمَا أَجْدَى عَائِدَتَهَا عَلَيْهِ! وَمَا أَعْظَمَ جَبْرَهُ بِهَا، وَمَا أَقْرَبَهُ بِهَا مِنْ سَيِّدِهِ، وَمَا عَالَجَ الصَّادِقُ بِشَيْءٍ أَشَقَّ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ الصَّادِقَةِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"[٣].

---

(١) سورة التحريم الآية ٤.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ ليغان، ج٤ص٢٠٧٥ رقم ٢٧٠٢.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج١ص٢٠٤بتصرف.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختمت ببعثته الرسالات نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً،

أما بعد

فبعد: كتابه هذا البحث ظهرت لى النتائج الآتية:

١-أكثر ما جاء القلب في القرآن الكريم بمعنى العقل، والسُّر في ذلك أن مناط الاعتداد بالقلب هو التبصُّر والتعُّقل الذى يقود إلى الهداية والإيمان.

٢-اختص الله القلب بوظائف ميزته عن باقي الأعضاء مما يشى بمكانة القلب بين الأعضاء.

٣- مرض القلب يحصل بخروجه عن صحته واعتداله وعما خلق لأجله من معرفة الله عز وجل والإيمان به.

٤- أمراض قلوب أهل الكفر العلة فيها اختيارهم للكفر وإصرارهم عليه .

٥- من أمراض قلوب أهل الكفر الطبع، والختم، والإسلاك، والإشراب، والأَكِنَةَ

٦-اتباعُ الهوى وإيثارُ الدنيا على الآخرة ووساوس الشيطان والغفلة من مفسدات القلوب.

٧-أمراض القلوب ذات أثر خطير على عقيدة الفرد وعمله، فهى تحكم على عقيدته بالفساد وعلى أعماله بالحُبُوط.

٨-أمراض القلوب تشقي أصحابها والمجتمع.

٩-نجاة الإنسان في الآخرة تتوقف على سلامة قلبه في الدنيا **﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (*) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** [1].

(١) سورة الشعراء الآيات ٨٨- ٨٩.

١٠-هناك علاقة قوية بين القلب والسمع والبصر لأنها منافذ للإدراك، وروافد تُمِدُّ القلب بما فيها نجاتُه أو هلاكُه.

١١-الإنسانية تكون حية بقدر ما في القلوب من معان محمودة .

١٢-أعمال الجوارح لها تأثير على القلب إيجابا وسلبا حسب صفتها.

١٣-على الفرد أن يجتهد ويسعى لسلامة قلبه بالتزامه بكتاب الله وسنة رسوله.

١٤-القلب ذو علاقة قوية بالجوارح، موجه لها، تسلم بسلامته، وتفسد بفساده .

١٥-الاستجابة لله والرسول تحيي القلوب .

١٦-القلب كالحصن للإنسان إن لم يحفظه هلك في الدنيا والآخرة.

١٧- التوبة صَمَّام أمان لإحياء القلوب.

* * * * * *

المراجع

م	المصدر أو المرجع
١-	إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
٢-	أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عُمَر بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٣-	إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ،المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،المحقق: محمد حامد الفقي ، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٤-	الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية ،المؤلف: نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٥-	البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ،المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٦-	البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي ، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

م	المصدر أو المرجع
٧-	التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن الطاهر بن عاشور التونسي ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
٨-	التعريفات الفقهية ،المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
٩-	التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ،الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
١٠-	التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]،المؤلف: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.
١١-	التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي– القاهرة.
١٢-	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.
١٣-	التفسير الواضح المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ.

م	المصدر أو المرجع
١٤-	الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ،المؤلف: أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م
١٥-	الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة – المغرب ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م
١٦-	السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ،الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهر عام النشر: ١٢٨٥
١٧-	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.
١٨-	العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، المحقق: خالد بن عثمان السبت إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
١٩-	الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .

م	المصدر أو المرجع
٢٠-	القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ،المؤلف: الدكتور سعدي أبو جيب ، الناشر: دار الفكر. دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م. .
٢١-	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى)،المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ
٢٢-	الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكَفَوِيّ، أبو البقاء الحنفي ،المحقق: عدنان درويش – محمد المصري ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
٢٣-	اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ،المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م .
٢٤-	المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل ،الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ،الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م .

م	المصدر أو المرجع
٢٥-	المفردات في غريب القرآن ،المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ،المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ
٢٦-	الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق: سيد إبراهيم الناشر: دار الحديث – القاهرة رقم ،الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م .
٢٧-	أمراض القلب وشفاؤها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ،الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ .
٢٨-	أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٢٩-	بداية الهداية ،المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد زينهم محمد عزب الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م
٣٠-	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ،المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

م	المصدر أو المرجع
٣١-	تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٣٢-	تفسير التستري، المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري جمعها: أبوس بكر محمد البلدي ،المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ ، بيروت .
٣٣-	تفسير الراغب الأصفهاني ،المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة ، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا ،الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٣٤-	تفسير الشعراوي الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
٣٥-	تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد ابن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
٣٦-	تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض–السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

م	المصدر أو المرجع
٣٧-	تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا ابن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،سنة النشر: ١٩٩٠ م.
٣٨-	تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ،المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ .
٣٩-	تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)،المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال– بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠هـ
٤٠-	تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
٤١-	تفسير الماوردي = النكت والعيون ،المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
٤٢-	تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)،المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت ،لطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

م	المصدر أو المرجع
٤٣-	تفسير مقاتل بن سليمان ،المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى ،المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ
٤٤-	تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .
٤٥-	تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي ، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .
٤٦-	جمهرة اللغة ،المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٤٧-	رسالة ابن القيم إلى احد إخوانه ،المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق: عبد الله بن محمد المديفر، الناشر: مطابع الشرق الأوسط – الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ).
٤٨-	رسالة المسترشدين، المؤلف: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية –حلب– سوريا ،الطبعة: الثانية، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

م	المصدر أو المرجع
٤٩-	روح البيان ،المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء، الناشر: دار الفكر – بيروت
٥٠-	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ،المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٥١-	زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي
٥٢-	سنن ابن ماجه ،المؤلف: ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ،المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي– عَبد اللّطيف حرز الله ، الناشر: دار الرسالة العالمية ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
٥٣-	سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ،تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.
٥٤-	صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء طبع: بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر المحمية، عام ١٣١١ هـ،، ط الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.
٥٥-	صحيح مسلم ،المؤلف: أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي – القاهرة (وصَوّرتْها: دار إحياء التراث العربي – بيروت) .

م	المصدر أو المرجع
٥٦-	عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
٥٧-	غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ،المحقق: الشيخ زكريا عسيرات ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .
٥٨-	فتح القدير ،المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .
٥٩-	فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)،المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج القسم الدراسي: د. جميل بني عطا المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .
٦٠-	قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥م .

م	المصدر أو المرجع
٦١-	لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ،المحقق: إبراهيم البسيوني /الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة .
٦٢-	محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
٦٣-	مختار الصحاح ،المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الحنفي الرازي ،المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٦٤-	مخطوطة الجمل – معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ،المؤلف: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨م.
٦٥-	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
٦٦-	مسند الإمام أحمد بن حنبل ،المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل ، المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ،الناشر: مؤسسة الرسالة.

م	المصدر أو المرجع
٦٧-	مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ،المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز ابن عثمان البوصيري الكناني الشافعي ،المحقق: محمد المنتقى الكشناوي ،الناشر: دار العربية – بيروت ،ط: الثانية، ١٤٠٣ هـ
٦٨-	معاجم مفردات القرآن موازنات ومقترحات، المؤلف: أ. د. أحمد حسن فرحات ،الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
٦٩-	معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ،المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٧٠-	معاني القرآن وإعرابه ،المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو سحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب– بيروت ،الطبعة: الأول١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م .
٧١-	معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون ،الناشر: دار الفكر.
٧٢-	مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

م	المصدر أو المرجع
٧٣-	مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (وفق المنهج المعتمد من بكر بن عبد الله أبو زيد – رحمه الله)، راجعه: مُحَمَّدْ أَجْمَل الإصْلاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى،١٤٣٢.
٧٤-	نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

* * * * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٠٨٨
تمهيد : تعريف القلب في اللغة	١٠٩٤
الفصل الأول : حقيقة أمراض القلوب وخطورتها	١١١٢
المبحث الأول : أمراض قلوب أهل الكفر	١١١٦
المبحث الثاني : أمراض قلوب أهل الإيمان	١١٥٥
المبحث الثالث : أمراض قلوب مشتركة بين أهل الإيمان وأهل الكفر	١١٦٠
الفصل الثاني : فساد القلب أسباب وعلاجه	١١٨٨
المبحث الأول : أسباب فساد القلب	١١٨٨
المبحث الثاني : علاج أمراض القلوب	١١٩٩
الخاتمة	١٢١١
المراجع	١٢١٣
فهرس الموضوعات	١٢٢٦